



جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي: /...../.....

رقم التسجيل ط1: 1535115523

رقم التسجيل ط2: 1435094721

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر

تخصص: أدب حديث ومعاصر

بعنوان

التخييل التاريخي في رواية الخيال العلمي المغربية رواية

"عودة إلى غرناطة عبر ساجيتوروس" أنموذجا

إعداد الطالبتين:

- فهيمة لوصيف

- عزيزة بوزيد

- أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة الأساتذة:

- د/ محمد عبد اللطيف زعيتري أستاذ مساعد "أ" جامعة المسيلة رئيسا

- د/ سعاد عريوة أستاذ مساعد "ب" جامعة المسيلة مشرفا ومقررا

- د/ حكيم بوشلائق أستاذ محاضر "أ" جامعة المسيلة ممتحنا

السنة الجامعية: 1440-1441 هـ 2020/2019م



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



مَقْدِمَةٌ

توصل العلم في العصر الحالي إلى تحقيق أغلب أحلام الإنسان، وفي بعض الأحيان توصل إلى أبعد من ذلك، فقد تحول العالم بفضل العلم إلى قرية صغيرة، يتمكن فيها كل شخص من التواصل مع الآخرين في أي وقت وفي أي مكان أراد، فقد صار الحلم أساس العلم، وقد أخذت بعض الأنواع الأدبية تشق طريقها في القرن العشرين نحو إرساء معالمها الفنية، ونقصد هنا أدب الخيال العلمي الذي تم فيه المزوجة بين العلم والأدب، إنه ينطلق من نظرية علمية ساعيا إلى الارتقاء بالخيال الأدبي إلى المستقبل مدفوعا بالطموح إلى تحليل الظواهر الغامضة الطبيعية والبشرية، فالعلم الذي كان يبدو مناقضا للأدب، هاهو اليوم يتحد معه، فتكتب نصوص تكشف عن عالم جديد لهذا الالتحام الذي لم يتوقف عند حدود الإمتاع، فقد أصبحت بعض نصوص روايات الخيال العلمي ذات فائدة على البشرية جمعاء، فمثلا صناعة الأنسولين ظهرت في إحدى الروايات قبل خمسين سنة من اكتشافه وكذا الكثير من المخترعات التي تعود بالنفع على البشرية، لكن تبقى خطورتها حين يستغلها الإنسان في خدمة مصالحه العسكرية، مثل القنبلة الذرية التي قبل أن تظهر تناولتها رواية من روايات الخيال العلمي.

أدب الخيال العلمي ذو حدين مثله مثل العلم فإن استغل في ما يخدم البشرية فإنه دون شك سيقدم الكثير من الاكتشافات العظيمة، وتبقى خطورته تطارد الإنسان مدى الحياة، لكن يجب أن نشير هنا إلى أن الهدف الأول من كتابة أدب الخيال العلمي لا يتجه إلى تقديم مشاريع لمخترعات علمية، بل إن الهدف منها محكوم بوظيفتها داخل النص.

وقد حاول الروائي خالد اليعبودي من خلال روايته أن يقدم لنا رؤيته في هذا الجانب من خلال مزجه لأحداث واقعية تاريخية بأخرى متخيلة محاولا تحريك الجانب التاريخي الراكد بأسلوب فني مزج فيه بين الماضي والحاضر بطريقة لبقة أعطت الرواية قيمة فنية عالية، توخى من خلالها شحذ الهمم باسترجاع جانب مهم من تاريخنا المجيد.

وعليه تم وضع العنوان الموسوم: التخيل التاريخي في رواية الخيال العلمي المغربية رواية- عودة إلى غرناطة عبر ساجيتوروس- أنموذجا.



وتأتي أهمية العنوان لاحتوائها على التخيل التاريخي، فبالنسبة للتخيل فهو يشترك مع الخيال في الجذر (خ ي ل) وإن اختلف عنه في المعنى، أما التاريخ فيمثل جانبا حيويا من تراثنا العربي الخالد استعاده الروائي لشحن الهمم والتطلع إلى ماضينا التليد من خلال بطولات الأسلاف واستقصاء الحقائق عن السابقين، ومن هنا يتسنى لنا طرح الإشكالية الآتية: ما هي التأثيرات التي يحدثها أدب الخيال العلمي على مستقبل العالم؟ وفيم تتجلى أهمية أدب الخيال العلمي من خلال رواية عودة إلى غرناطة عبر ساجيتوروس؟ وما مدى تأثيره على الحياة؟ ما هو مفهومه؟ وما هي الظروف التي ساهمت في ظهوره كجنس أدبي؟ هل يمكن للروائي كتابة التاريخ مستغلا أدب الخيال العلمي وفقا لتصوراته محوراً إياه وفق ما تقتضيه الضرورة الفنية؟ .

وللإجابة على هذه التساؤلات قسمنا البحث إلى مقدمة وفصلين ثم خاتمة، الفصل الأول مكوّن من تعريف مصطلح أدب الخيال العلمي كل عنصر على حدى واستجلاء العلاقة بين كل عنصر وآخر بالإضافة إلى تعريف التخيل، ثم تعريف أدب الخيال العلمي، بالإضافة إلى تعريف رواية الخيال العلمي، ثم تطرقنا إلى نشأة أدب الخيال العلمي عند الغرب وعند العرب، أما الفصل الثاني فقد جاء فيه خيالية الحدث واختراق الزمن، ثانيا غرناطة الخيال والتاريخ تطرقنا فيه إلى مفهوم التاريخ وأيضا مفهوم الرواية التاريخية، ثالثا الأحداث التاريخية من خلال الرواية، رابعا دراسة أبعاد الأعلام والشخصيات التاريخية، خامسا السفر عبر الزمن كآلية من آليات الرواية التاريخية، سادسا الخيال العلمي كآلية لإعادة كتابة التاريخ، ثم خاتمة جمعنا فيها كل النتائج المتحصل عليها. وتكمن أسباب اختيارنا لهذا الموضوع في جانبين:

الأول ذاتي: وهو حب الاطلاع على المواضيع التي تثير الدهشة والتشويق وتأخذ قارئها إلى مسافات بعيدة يتجاوز فيها المكان والزمان.

الثاني موضوعي: يتمثل في معرفة مدى انسجام العلم والأدب في مسيرتهما ضمن أدب الخيال العلمي، وكذلك معرفة الرابط الذي كان كفيلا بالجمع بينهما.

وترجع أهمية البحث إلى التساؤل الرئيسي المتمثل في الإشكالية وما انبثق عنها من أسئلة فرعية كانت بمثابة الإحاطة بالموضوع من كل جوانبه وكذلك إلى الرواية المدروسة كونها لم تتعرض إلى دراسة سابقة وهذا ما أعطى أهمية للبحث. وقد تم الاعتماد على المنهج التاريخي في الجانب النظري، والمنهج الوصفي في جانبه التطبيقي، أما فيما يخص الدراسات السابقة فتمثلت في:

- دراسة الدكتورة سعاد عريوة: مكونات السرد وخصائصها في رواية الخيال العلمي العربية المعاصرة رواية- اعشقني لسناء الشعلان- أنموذجا وهي رسالة دكتوراه من أهم الدراسات التي أثرت المكتبة العربية بفضل الكم الهائل للمعلومات وكذلك جدة الرواية التي لم تدرس من قبل فقد تناولت مفهوم السرد وخصائصه وروافد السرديات، بالإضافة إلى المفاهيم الخاصة بأدب الخيال العلمي وعلاقته بالأنواع المجاورة، أيضا مكونات الشخصية الروائية في رواية الخيال العلمي، وقد كان التماس مع موضوعنا في المفاهيم واختلفت في الأجزاء الأخرى.

- ثاني دراسة لجميلة بورحلة: أدب الخيال العلمي بين العلمية والأدبية دراسة وصفية تحليلية في جمالية التداخل بين البعدين العلمي والأدبي رسالة ماجستير، وقد تناولت فيها فكرة الانتقال من التفكيرين الخرافي والأسطوري إلى التفكير العلمي، وأسباب استمرار وجود الخرافة حتى في أوج ازدهار المعرفة العلمية، ثم تطرقت إلى مفاهيم كل من الأدب والخيال والعلم وأوجه ارتباط كل طرف بالأخر، وكان التماس مع بحثنا في مجرد المفاهيم والمصطلحات بينما توسعت دراستها في استجلاء عناصر أخرى من أدب الخيال العلمي.

- وعن الدراسة الثالثة فقد كانت أيضا لجميلة بورحلة رسالة دكتوراه بعنوان: صورة الإنسان الافتراضي في روايات أدب الخيال العلمي دراسة موضوعاتية تناولت في جانب منها تحليل بعض روايات الخيال العلمي، ربما فقط كان التماس مع موضوعنا في تحليلها لبعض روايات الخيال العلمي واختلفت في أجزائها الأخرى.

ومن أهم المصادر التي استقى منها البحث واستزاد نذكر على سبيل المثال لا الحصر: الأدب وفنونه لعز الدين إسماعيل، وفي نظرية الأدب لشكري عزيز الماضي، وأيضا بناء الشخصيات في الأدب العربي لعصام عساقلة، وكذلك الخيال العلمي بين العلم والخرافة لصالح معاطي، ومبادئ علم الاجتماع لأحمد رأفت عبد الجواد.

أما بالنسبة للمراجع المترجمة للعربية نذكر منها مقدمة في نظرية الأدب لتيري ايجلتون، فقد كانت هذه المراجع بمثابة الشمعة التي أنارت طريق هذا البحث وأوصلته إلى برّ الأمان بفضل الكنوز المدخرة في ثناياها.

أمّا عن الصعوبات التي واجهتنا فهي جدّة الرواية التي لم يكن لها دراسات سابقة، بالإضافة إلى ندرة المراجع في هذا الموضوع .

وفي الأخير نشكر الأستاذة المشرفة الدكتورة "سعاد عريوة" على الإرشادات والنصائح القيمة التي لم تبخل علينا بها، فقد كانت بمثابة الأخت العطوفة التي لا يحلو لها العيش ولا يطيب إلا بسعادة الآخرين فلك منا فائق التقدير والاحترام والعرفان ونسأل الله تعالى القبول وأن يتجاوز عمّا صدر من أخطاء والحمد لله.

الفصل الأول

أدب الخيال العلمي : المفهوم النشأة والتطور

- أولاً: مكونات مصطلح أدب الخيال العلمي (المفاهيم و العلاقات

(

- ثانياً: تعريف أدب الخيال العلمي

- ثالثاً: تعريف التخيل

- رابعاً: تعريف رواية الخيال العلمي

- خامساً: نشأة وتطور أدب الخيال العلمي

— أولاً: مكونات مصطلح أدب الخيال العلمي (المفاهيم و العلاقات)

يعتبر أدب الخيال العلمي من الأجناس الأدبية التي اكتسبت أهميته بالغه التأثير نظرا لما قدمه للبشرية من رقي وتطور في مجالات شتى، وذلك بفضل العلم والتكنولوجيا التي كانت السبب في رواجه واتساع رقعته، وهو يتكون من ثلاثة عناصر أساسيه هي الأدب، الخيال، العلم، وكل عنصر من هذه العناصر لم يثبت على مفهوم محدد، وإذا كان السبب الرئيسي في عدم استقرار الأدب والخيال هو ارتباطهما بالنفس البشرية التي لا تعرف الثبات بل يصعب تنظيمها علميا، وهو عكس ما يكون في العلم فهو مرتبط بالمنطق والعقل والتجريب.

1. تعريف الأدب

أ- لغة: يعتبر مفهوم الأدب من المفاهيم التي شغلت اللغويين منذ القدم، وذلك لعدم يسره وثباته على الرغم من وجود العديد من التعاريف إلا أنها تعتبر مجرد محاولات تظهر بأنه متجدد حسب ظروف البيئة التي صيغ فيها.

وقد جاء عند ابن منظور:

أدب: الأدب: الذي يتأدب به الأديب من الناس؛ سمي أدبا لأنه يأدب الناس إلى المحامد، وينهاهم عن المقابح. وأصل الأدب الدعاء، ومنه قيل للصنيع يدعى إليه الناس: مدعاة ومأدبة. الأدب: أدب النفس والدرس. الأدب الظرف وحسن التناول، وأدب بالضم فهو أديب من قوم أدياء، وأدبه فتأدب: علمه، واستعمله الزجج في الله عز وجل فقال: وهذا ما أدب الله تعالى به نبيه صل الله عليه وسلم، والأدبة والمأدبة والمأدبة: كل طعام صنع لدعوة أو عرس.¹

¹ ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم)، لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، ط1، بيروت، لبنان، 1997، مجلد1، (باب الهمزة، مادة أدب)، ص: 50

نفهم من معنى "الأدب" أنه كل ما يتعلّمه الإنسان من الخصال الحميدة والمطلوبة كما جاءت في موضع آخر على أنها التأدب بمحامد الأخلاق والانتهاز من المقابح، و"أصل الأدب الدعاء" بمعنى الابتغال إلى الله بالتضرع والدعاء وكل ما يحبّ الله أن يسمعه في عبده، ومنه "قيل للصنيع يدعى إليه الناس مدعاة ومأدبة". ويظهر هنا بأنه يدل على الفعل الذي يقوم به الشخص في دعوة إلى الناس إلى فرح أو مناسبة ما. أمّا "أدب بالضم فهو أديب من قوم أدباء"، يعني الإنسان الذي له مكانة في الأدب وهو ينتمي إلى حقل المتعلمين. و"أدبه فتأدّب" بمعنى علّمه وثقّفه بما ينفعه، و"الأدبة والمأدبة والمأدبة كل طعام صنع لدعوة أو عرس" هو المائدة التي يُدعى إليها الناس في الأفراح والمناسبات.

وجاء في المعجم الوسيط

(أدب) -أدباً: صنع مأدبة، والقوم: دعاهم إلى مأدبته. والقوم وعليهم: صنع لهم مأدبة، وفلاناً: راضه على محاسن الأخلاق والعادات. ودعاه إلى المحامد. والقوم على الأمر: جمعهم عليه، ونَدبهم إليه، (أدب) إيداباً: صنع مأدب. والقوم: دعاهم إلى مأدبته، (الآدب): صاحب المأدبة، والداعي إليها. ج أدبة. الأدب: رياضة النفس بالتعليم والتهديب على ما ينبغي. و-جملة ما ينبغي لذي الصناعة أو الفن أن يتمسك به، كأدب القاضي، وأدب الكاتب، و-الجميل من النظم والنثر. و-كلّ ما أنتجه العقل الإنساني من ضروب المعرفة.¹ (أدب) أدباً: صنع مأدبة" بمعنى أقام وليمة، "والقوم: دعاهم إلى مأدبته والقوم وعليهم: صنع لهم مأدبة" بمعنى جمع مجموعة من الناس على موائد طعام وعادة ما تكون في الأفراح، و"فلاناً: راضه على محاسن الأخلاق والعادات" و"دعاه إلى المحامد" بمعنى قوم سلوكه إلى الأفضل ودعاه إلى محامد الأخلاق و"القوم على الأمر: جمعهم عليه" جمع مجموعة من الناس على أمر أو خطب ما، "الآدب" هو الشخص الذي أقام الوليمة ودعا

¹ شعبان عبد العاطي عطية وآخرون، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط4، 2004، (باب الهمزة، مادة

إليها. والأدب كلّ ما يحاول الإنسان إنتاجه بفضل عقله من المعارف التي تنتفع بها البشرية.

نخلص إلى أنّ المعجمين قد أجمعا على المعاني نفسها تقريبا في شرح معنى الأدب، وكانت في عمومها تفيد الدّعوة، والدّعاء، والتدريب على الخصال الحميدة التي لا يستقيم الفرد إلّا بترويض نفسه عليها.

ب- اصطلاحا:

يشمل الأدب: "التتقيف والتّهذيب في العقل والشعور، فكما أنّ الطعام يغذي الأبدان، فإنّ الأدب يغذي الوجدان"¹

يقول طه حسين: "لا يكون الأدب أدبا حتى يصور حياة الناس وليس في الأرض أدب إلا وهو يصور حياة أصحابه"²

حيث يعتبر الأدب بمثابة الغذاء للعقل لأنه يزوده بملكات خاصة تساعد على الارتقاء بهذا الفن النبيل، كما أنه يصور حياة الناس والمجتمعات ومستوى معيشتها ويدفع بها إلى الرقي والازدهار.

فمن خلاله يكتسب الإنسان ذوقا خاصا يمكنه من التعبير عن مشاعره وأحاسيسه دون خوف أو خجل.

والأدب مصطلح فضفاض وقد تعددت تعاريفه، ولم يتفق فيه على تعريف شامل ومنه جاءت بعض التعاريف التي نوردتها في هذا السياق:

فكلمه أدب "literature" في الانجليزية و"littérature" كذلك في الفرنسية مأخوذة من "litéra" وهي بذلك توحى بالأدب المكتوب أو المطبوع³.

¹ عمر السنوي الخالدي، مالأدب، 2017، 1438هـ، 19-8-2020-12.10

<https://www.alukah.net/literature.lon>

² شعيب حليفي، تق: عبد الفتاح الحجمري، الرواية والخيال العلمي، منشورات مخبر السرديات، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2013، ص35.

³ عز الدين إسماعيل، الأدب وفنونه، دار الفكر العربي، (د.ط) (د.ت)، ص12

والأدب هو الكتابة التخيلية بمعنى القصص الخيالي fiction أي الكتابة التي ليست صادقة حرفياً¹.

ويرى آخرون أن الأدب تعبير بالكلمة عن موقف الأديب من العالم أو أنه أداة تعبير طبقية أو أنه صياغة لغوية لتجربة إنسانية عميقة أو أنه استخدام خاص للغة لتحقيق هدف ما، وهناك من يراه أنه شكل جمالي خالص أو عمل فني بحت أو نظام من الرموز والدلالات التي تولد في النص وتعيش فيه ولا صلة لها بخارج النص².

هذا هو الأدب رغم اختلاف تعاريفه والنظر إليه من زوايا مختلفة يبقى المتنفس المفضل لدى الإنسان فمن خلاله يعبر الإنسان عن مكوناته ومشاعره، ويصور فيه المبدع كل ما يدور في خلد من خيالات جامحة تأخذ القارئ إلى مسافات بعيدة يحلق فيها هروبا من المواقع المؤلم أحيانا إلى الخيال الذي ينسيه معاناته.

2- تعريف الخيال:

أ- لغة: هو ما يتصوره المبدع لإضفاء صبغه جماليه على أدبه، ويعتبر من الركائز الأساسية التي يقوم عليها الأدب وقد جاء في لسان العرب لابن منظور أن:
الخيال والخيالة: ما تشبه لك في اليقظة والحلم من صورة. والخيال والخيالة: الشخص والطيف. رأيت خياله وخیالته أي شخصه وطلعته من ذلك وخیاله في المنام صورة تمثاله، والخيال خشبة توضع فيلقى عليها الثوب للغنم إذا رآها الذئب ظن أنه إنسان. وخیلٌ للناقة وأخیل: وضع لولدها خيالا ليفزع منه الذئب فلا يقربه³.
"فالخيال والخيالة: ما تشبه لك في اليقظة والحلم من صورة"، يعني ما يراه الإنسان في حلمه وقد يعني أحلام اليقظة.

¹ تيري ايجلتون، مقدمة في نظرية الأدب، تر: أحمد حسان، (د.ط.)، 1988، ص11.

² شكري عزيز الماضي، في نظرية الأدب، دار المنتخب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1414هـ/1993م، ص10.

³ ابن منظور، لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط4، 2005 (باب الخاء، مادة خيل) مجلد5، ص193، 194.

"والخيال والخيالة الشخص والطيف" يعني تمثال الشيء، "رأيت خياله وخيالته" أي شخص وطلعته و"من ذلك خياله في المنام صورته تمثاله" أي ما يوضع بدل الإنسان للتخويف و"الخيال خشبة توضع فيلقى عليها ثوم للغنم إذ رآها الذئب ظن أنه إنسان" بمعنى حيلة يضعها الإنسان لتخويف الحيوانات لعدم اقترابها من الغنم وكذلك الطيور لتفزع عند اقترابها من المزارع.

وخيل للناقة وأخيل وضع لولدها خيالاً ليفزع منه الذئب فلا يقربه. ما يضعه الإنسان لتخويف الذئب عند اقترابه من صغار الحيوانات الأليفة.

وجاء في المعجم الوسيط

الخيالُ : الشخص، والطيف.

وما تشبه لك في اليقظة والمنام من صورة. وصورة تمثال الشيء في المرأة. ومن كل شيء: ما تراه كالظلّ. وخشبة يُنصب عليها كساءٌ أسود في المزرعات يُفزع بها الطير، وفي مرابض الغنم يُفزع بها الذئب. و ما نصب في الأرض ليُعلم أنه حمى، فلا يقرب. وإحدى قوى العقل التي يتخيل بها الأشياء. ج: أخيلة، وخیلان¹.

(الخيال) "الشخص والطيف" ويعني أيضا صورة الشيء

"وما تشبه لك في اليقظة والمنام من صورة" بمعنى كالطيف الذي لم يمر عليك في أحلام اليقظة أو المنام "وصوره تمثال الشيء في المرأة" بمعنى انعكاس لصورة الشيء في المرأة ومن كل شيء تراه كظل: يعني ظل الشيء كما تراه في المرأة، "خشبه ينصب عليها كساء أسود في المزرعات يفزع بها الطير"، وفي "مرابض الغنم يفزع بها الذئب" خشبه مغطاة بكساء توضع لتخويف الطير والذئب وإحدى قوى العقل التي يتخيل بها الأشياء ج أخيلة، وخیلان" بمعنى إحدى القوى الحسية التي يتخيل بها الأشياء.

نستنتج أنّ كل من لسان العرب والوسيط قد اتفقا على نفس معاني الخيال الذي يعني الشخص والطيف كما يمثل إحدى القوى العقلية التي يتخيل بها الأشياء.

¹ شعبان عبد العاطي عطية وآخرون، المعجم الوسيط، (باب الخاء، مادة خيل)، ص 266.

ب - اصطلاحاً:

"هو الملكة التي يؤلف بها الأديب صورة"¹

والخيال عبارة تشتمل على مدى المعاني التي ضمّنها الخيال والتّخيل وأن يكون الفرد متخيلاً. والمتخيّل كما هو معروف بناء ذهني أي أنه إنتاج فكري بالدرجة الأولى وليس بالإنتاج المادي حيث يقول كولردج:

"إنني أعدّ الخيال الأوّلي بمثابة القوّة الحيّة والوسيط الأوّل لكل إدراك بشري، وبمثابة تكرار في العقل المحدود بفعل الخلق الأدبي في الذات المطلقة"².

الخيال هو إحدى القوى الحيّة في العقل البشري وهي ملكة حبي بها الله تعالى الأديب ليخرج من واقعه إلى عالم آخر تحذوه الأعمال في تغيير واقعه إلى ما هو أفضل. يعرف شوقي ضيف الخيال بقوله: "الخيال هو الملكة التي يستطيع بها الأدباء أن يؤلفوا صورهم وهم لا يؤلفونها من الهواء، وإنما يؤلفونها من إحساسات سابقه لا حصر لها تختزلها عقولهم وتظلّ كامنة في مخيلتهم حتى يحين الوقت، فيؤلفوا منها الصورة التي يريدونها، صورة تصبح لهم، لأنها من عملهم وخلقهم والخيال عند الأدباء يقوم على شيئين: دعوة المحسّسات والمدركات ثم بنائها من جديد"، أما غنيمي هلال فيقول في تعريف الخيال "التفكير بالصورة على حسب طرق فنيه تختلف من مذهب فني لمذهب فني آخر..."³

إذن اتفق الأديب والناقد على أن الخيال هو التفكير بالصورة وكلّ يستخدمه حسب مذهب.

¹ جريدة بوطبة، الرؤيا النقدية في كتاب الخيال الشعري عند العرب لأبي القاسم الشابي، مذكرة ماستر، إشراف عمار حلاسة، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، كلية الآداب واللغات، 2014، 2015، ص5.

² فيصل الأحمر، دراسات في الأدب الجزائري المعاصر، اتحاد الكتاب الجزائري، ط1، 2009، ص37، 38.

³ محمد الصديق معوش، مصطلح الخيال في الرومانتيكية العربية، أطروحة دكتوراه، إشراف مشري بن خليفة، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، كلية الآداب واللغات، 2016، 2017، ص24، 25.

3- تعريف العلم:

أ- لغة:

جاء في لسان العرب أن:

العالم: الذي يعمل بما يعلم، والعلم نقيض الجهل علم علما وعلم هو نفسه، ورجل عالم وعليم من قوم علماء فيهما جميعا، وعلمت الشيء أعلمه علما: عرفتة، عالمه فعلمه يعلمه بالضم: غلبه بالعلم أن كان أعلم منه، علم بالشيء وشعر، يقال ما علمت بخبر قدومه أي ما شعرت، وعلم الأمر وتعلمه: أتقنه¹. "العالم الذي يعمل بما يعلم": أي يطبق في حياته ما يعرفه من علم، "والعلم نقيض الجهل علم علما وعلم هو نفسه" والعلم ليس كالجهد فهما نقيضان مختلفان، "ورجل عالم وعليم من قوم علماء فيها جميعا" رجل كثير العلم فهو من زمرة العلماء، وعلمت الشيء أعلمه علما عرفتة كنت على دراية ومعرفة به عالمه فعلمه يعلمه بالضمه غلبه بالعلم أي كان أعلم منه بمعنى يمتلك زادا واسعا من العلم يقال ما علمت بخبر قدومه أي ما شعرت بمعنى ما أحسست وعلم الأمر وتعلمه أتقنه بمعنى أحسن معرفته.

وجاء في المعجم الوسيط:

(عالمه): باراه وغالبه في العلم.

تعالم فلان: أظهر العلم. والجميع الشيء علموه.

وتعلم الأمر: أتقنه وعرفه

الأعلومة السمة. ج أعاليم

العلم إدراك الشيء بحقيقته. و-اليقين. و-نور يقذفه الله في قلب من يحب. ويطلق العلم

على مجموع مسائل وأصول كلية تجمعها جهة واحدة².

¹ ابن منظور، لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط4، 2005، (باب العين، مادة علم) مجلد10، ص263، 264.

² شعبان عبد العاطي عطية وآخرون، المعجم الوسيط، (باب العين، مادة علم)، ص624.

"عالمه باراه وغالبه في العلم "بمعنى نافسه في ميدان العلم، "تعالم فلان: أظهر العلم والجميع الشيء علموه" بمعنى أظهر مقدار العلم الذي يمتلكه، "تعلم الأمر: أتقنه وعرفه" بمعنى أحسن معرفته، "الأعلومة السمة ج أعاليم" بمعنى الصفة أو الميزة الخاصة. العلم إدراك الشيء بحقيقته بمعنى معرفة الشيء على وجهه الحقيقي ويطلق على مجموع المعارف التي تدرج تحت تخصص واحد.

نخلص إلى أن معجم لسان العرب والمعجم الوسيط قد اتفقا في شرح أغلب المعاني والتي في مجملها تتناول كلمة العلم ومشتقاتها.

ب- اصطلاحا

يأتي للدلالة على مجموعة من الحقائق والوقائع والنظريات، والمعلومات التي تترجم بها المؤلفات العلمية. كما يعرف العلم بأنه نسق المعارف العلمية المترابطة أو هو مجموعة المبادئ والقواعد التي تشرح بعض الظواهر والعلاقات القائمة بينها أو هو مصدر لكل نوع من أنواع المعارف وتطبيقاتها¹

إذن فالعلم هو ما تحتويه المؤلفات العلمية بالإضافة لكونه عنصرا فعّالا في شرح الكثير من الظواهر، كما أنه أساس لكل أنواع المعارف وما ينجم عنها من تطبيقات.

ثانيا: العلاقة بين المفاهيم (الأدب، الخيال، العلم)

يعتبر الأدب نتيجة لتجارب المبدعين الذين يسعون لتفعيله لدى المتلقي، لكنه ليس بالشيء الهين والبسيط، فالأدب يصاغ بلغة يغلب فيها الخيال والقصد هو إيصال صوت المبدع، كما يقوم الأديب ببناء لغة مميّزه لا يفهمها القارئ إلا بعد أن يستوعب ما تلمّح له تفاصيل النص، ويكون ذلك باستخدام الغموض لأن الوضوح في الأسلوب يفقد الأدب جزءا من حيويته، ورغم ذلك يعتبر الخيال من العناصر المهمة في الأدب وهو يعطيه قيمه وميزه خاصة فبدون الخيال لا يمكن أن تتحرك العاطفة.

¹ محمد الباقر حاج يعقوب، التصور الإسلامي للعلم وأثره في إدراك المعرفة، مجلة الإسلام في آسيا، العدد4، ديسمبر، 2011، ص4.

أ- علاقة الأدب بالخيال

الخيال هو سبيل التأثير الذي يتوخاه الأدب، إذ لو عرض الانفعال دون صورة لم يظهر ذلك الانفعال ويبقى حبيس النفس، ولتوحدت فيه كل نفوس البشر ولا ننفي عنه الاختلاف والخصوصية اللذان يميزان نسا أدبيا عن نص غير الأدبي.

فالخيال يهدف إلى أن يبديع نمطا جديدا من الحياة ويتيح للذات التطلع إلى آفاق جديدة في محاوله لاكتساح الحصار اليومي للصور والأشياء التي فقدت معناها لكثرت تداولها.

ومن ثم يتضح أنّ الخيال هو ما يمنح الحياة في زيّ مختلف بكسر جمود الألفة والاعتیاد، فهو ليس صدقا ولا تعبيراً عن واقع ولكنه جموح وطموح يتجاوز فيه الأديب عالم الحقيقة والواقع ويصل إلى عوالم من صنع مخيلته أرحب وأوسع. وقد تكون أكمل وأفضل، والأدب ليس خيالاً ولا انعكاساً كلياً للواقع، بل هو مزيج من الأمرين¹

نخلص إلى أن الخيال يعتبر جزءاً فعالاً في الأدب وهو لا يعبر عن الأدب بأكمله، إذ لا بدّ للأدب أن يأخذ جانبا من الواقع حتى يسهّل التواصل مع القراء وإلا أصبح شيئاً غامضاً من المتخيلات التي تصنعها نفس الأديب، فالأدب مصدر الحياة بها يمنحه الخيال من حركة ونشاط مما يدفع بالأديب إلى ابتكار أشياء جديدة.

ب- علاقة الأدب بالعلم

إذا كانت علاقة الأدب بالخيال تفرضها الضرورة الأدبية ويسمها الوضوح، فإن علاقة الأدب بالعلم يميزها الغموض والنكران في كثير من الأحيان نظراً لتعدد أوجه الاختلاف بينهما، وتكمن أول الاختلافات في طبيعة الأدب والعلم في حد ذاتهما، فمن ناحية تعد طبيعة العلم واضحة لدى المشتغلين به، إضافة إلى وضوح مناهجه وغاياته،

¹ جميلة بورحلة، أدب الخيال العلمي بين العلمية والأدبية، دراسة وصفية تحليلية في جمالية التداخل بين البعدين العلمي والأدبي، مذكرة ماجستير، إشراف عبد المالك بومنجل، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة فرحات عباس، سطيف، الجزائر، 2009-2010، ص 64، 65

بينما لا يثبت الأدب على مفهوم يقيني محدد فمفهومه متغير من زمن لآخر، وهو يشهد باستمرار بروز آراء حاسمه في تحديده، ومع ذلك يعاد النظر فيها في كل مرة، ويفرق بين العلم والأدب أيضا من ناحية الهدف، فهدف العلوم هو البحث عن الحقيقة المتجسدة في الواقع المباشر، بينما تنحصر وظيفة الأدب مثله مثل الفنون الجميلة في البحث عن الجمال في العالم الخارجي والنفسي على السواء¹.

ومن هنا نستنتج أن هناك أوجه اختلاف بين الأدب والعلم؛ لأن الأدب غايته جمالية فهو يسعى إلى الإمتاع والتسلية يجسد فيه الأديب كل ما يختلج في وجدانه من مشاعر وأحاسيس بينما العلم خاضع للتجربة ولا علاقة له بالانفعالات العاطفية، فهو يعتمد الملاحظة والاستنتاج بإتباع منهج معين للوصول إلى غايته.

ج- علاقة الخيال بالعلم:

رغم جمود الآلة وصرامة القوانين فإنّ العالم تشغله نفس شواغل الأديب وتستوقفه نفس تساؤلاته عن غموض الطبيعة والكون، وعن المستقبل وكيفيه الارتقاء بحياة الإنسان ولم يعد العلم شغلا نظريا أو تطبيقا مجردا من الإحساس أو مقيدا عن الاستعانة بقوه الخيال، فلا يخدم الخيال حيث يقوى وهج العقل أو يخدم التفكير العقلي حيث يتربص خيال الأديب، وصار العلماء يستعينون بالخيال للبرهنة على صحة ملاحظاتهم وقوانينهم ولتعليل الظواهر الطبيعية وتوضيحها.

فالأديب والعالم يستخدمان الخيال وسيلة كما يستخدمانه مصدرا للكشف الإبداعي وانطلاق الأفكار الجديدة، ومنه لم يعد الخيال حكرا على الأدب وحسب بل أصبح أداة ضرورية في جميع الأنشطة البشرية ومنها العلمية بل أصبح الخيال هو السبيل إلى اكتشاف الحقائق العلمية وتجاوز الأنظمة القديمة التي ولّت فائدتها².

¹ جميلة بورحلة، أدب الخيال العلمي بين العلمية والأدبية، دراسة وصفية تحليلية في جمالية التداخل بين البعدين العلمي والأدبي، ص 71، 72

² المرجع نفسه، ص 88، 91.

نخلص إلى أن الخيال قد أصبح ضرورة ملحة ليس فقد الأديب بل حتى للعالم فهو يستعين به في استنباط القواعد التي بمجرد ظهورها من عالم الخيال أو الانفعال تؤخذ مباشرة إلى ميادين التجربة والاختبار.

ومنه فالعلاقة بين المفاهيم الأدب، والخيال، والعلم يسودها الترابط أحيانا والتعارض والاختلاف أحيانا أخرى، فمثلا العلاقة بين الأدب والخيال هي علاقة تكاملية، أما بين الأدب والعلم هي علاقة اختلاف، الأدب يعتمد على العاطفة، بينما العلم يعتمد التجربة، أما العلاقة بين الخيال والعلم فالخيال هنا يعتبر نقطه تقاطع بين الأدب والعلم حيث يلتقيان في الخيال الذي يحتاجه الأديب كما يحتاجه العالم.

ثالثا- تعريف أدب الخيال العلمي

مع أنه لا يبدو أن هناك اتفاق على تعريف محدّد لأدب الخيال العلمي وما يكونه ومع أن نصوصه ترجع إلى القرن السابع عشر فهذا المصطلح تظهر سماته مرتبطة بالعلم والتخيل وهو يستجلي مناطق من المستقبل سواء القريب أو البعيد في محاولة لربط الحاضر بالمستقبل والارتقاء به إلى الأعلى وقد كان ظهوره أول الأمر:

1- عند الغرب: وقد كان ظهور مصطلح أدب الخيال العلمي أول مرة عند الغرب وكان له الفضل في اكتشاف وإبداع الكثير من الاختراعات والاكتشافات المذهلة التي دفعت بالعلماء إلى البحث عنها ومحاولة تحقيقها:

ويعرّفه روبرت هنلين " بأنه تصور واقعي لأحداث مستقبلية محتملة الحدوث على نحو يرتكز بقوة على المعرفة الكافية بالواقع الحالي والماضي والحاضر والإمام بالطبيعة وأهمية الأسلوب العلمي...¹"

¹ صلاح الدين معاطي، الخيال العلمي بين العلم والخرافة، الوراق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2014، ص9.

يرى هنلين بأن أدب الخيال العلمي ينطلق من الواقع إلى المستقبل الممكن مرتكزا على المعرفة للواقع المعاش سواء في الماضي أو الحاضر مع التركيز على الطبيعة والعلم الذي يعتبر المحرك لأدب الخيال العلمي.

أما الناقد والباحث الألماني الدكتور هينجر فيقول: "إنّ الخيال العلمي اصطلاح يطلق على ذلك النوع من الأدب الروائي الذي يعالج بكيفية خيالية مدروسة استجابة الإنسان لكافة ما يحيطه من تقدّم وتطور في العلوم وتقنياتها سواء كان في القريب أو البعيد أو الآتي على البعد السحيق"¹.

يرى هينجر أن الخيال العلمي مصطلح أطلق على الرواية التي تدرس بطريقة خيالية تجاوب الإنسان لكل ما يحيط به من تطور في العلوم على الأمد القريب أو البعيد.

في حين يرى جيمس غان: "أنّ الخيال العلمي هو ذلك الفرع من الأدب الروائي الذي يعالج تأثيرات التحول على الناس في العالم الحقيقي، وهو يهتم بالتحول التكنولوجي أو العلمي ويشمل أمورا أهميتها أكبر من الفرد أو المجتمع البشري أو العصر البشري لكونه خطر. ويرى غان أيضا أن الخيال التقليدي (Traditional Fiction) هو أدب الاستمرارية للتجربة اليومية، والقرارات التي يتخذها الأشخاص المنخرطون في هذا الأدب يجب أن تركز على تجارب سابقة تقليدية"².

يرى غان أن الخيال العلمي هو فرع من الأدب يعالج ما يتعرض له الناس من تحول في الواقع يشغل بالتكنولوجيا والعلم وبأمور أكبر من الفرد والمجتمع، كما يرى أنّ الخيال التقليدي استمرار للتجارب اليومية.

¹ صلاح الدين معاطي، الخيال العلمي بين العلم والخرافة، ص10.

² عصام عساقلة، بناء الشخصيات في رواية الخيال العلمي في الأدب العربي، أزمنة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2011، ص83.

أما الكاتب رود سيرلينج فيعرّفه على النحو التالي: "الفتنازيا هي تحويل المستحيل إلى شيء محتمل حدوثه. أما الخيال العلمي فهو تحويل ما هو غير محتمل حدوثه إلى شيء ممكن حدوثه¹."

الكاتب سيرلينج يقارن في هذا التعريف بين الفتنازيا والخيال العلمي حيث يرى الفتنازيا تختلف عن الخيال العلمي بتحويل المستحيل إلى شيء ممكن الحدوث أم الخيال العلمي فهو تحويل ما هو غير ممكن إلى شيء ممكن حدوثه.

وعن الكاتب والناقد الأمريكي بي-أو-بيلي فيرى في تعريفه: "أن القصة العلمية تترجم المكتشفات والمخترعات وتطورات التقنية التي ظهرت أو القريبة من الظهور أو المحتمل ظهورها في المستقبل البعيد إلى مشاكل إنسانية ومغامرات درامية."²

يرى بي أو بيلي أن القصة العلمية لها الفضل في ظهور الاكتشافات والاختراعات وكل ما له علاقة بالتطور مترجمة كل هذه الأشياء إلى مغامرات درامية.

نخلص إلى أن مصطلح أدب الخيال العلمي حتى عند الغرب لم يجمعوا على تعريف واحد له فكل باحث أو ناقد أو أديب يصوره من الجانب الذي يتماشى ورؤيته الخاصة له فرغم التنظيرات الكثيرة والتعريفات المتميزة لم يحدث الالتقاء في تعريف شامل.

2- عند العرب:

كالعادة وفي كل مرة مع كل مصطلح جديد، يجد العرب أنفسهم مضطرين لأخذ ما أبدعه الغرب، ليسيروا على طريقة بخرى متناقلة، ومع الظروف التي تفرضها البيئة العربية على كل ما هو آت من الغرب، ليجدوا أنفسهم في مفترق الطرق ما عليهم سوى اتباع طريق الغرب، والاعتراف من معينه.

وقد عرف مجدي وهبة الخيال العلمي بقوله: "الخيال العلمي هو ذلك الفرع من الأدب الروائي الذي يعالج بطريقة خيالية استجابة الإنسان لكل تقدم في العلوم

¹ صلاح الدين معاطي، الخيال العلمي بين العلم والخرافة، ص10.

² المرجع نفسه، ص10.

والتكنولوجيا سواء في المستقبل القريب أو البعيد، كما يجسد تأملات الإنسان في احتمالات وجود حياه في الأجرام السماوية الأخرى...."

نخلص إلى أن الخيال العلمي ما هو إلا فرع من الأدب الروائي يعالج بطريقة خيالية تصورات الإنسان في مجال العلم والتكنولوجيا، كما يسايره في أفكاره وخواطره التي تقوده إلى احتمال وجود حياه في كواكب أخرى.

أما رؤوف وصفي فيعرفه انطلاقاً من هدفه فيرى بأنه "يهدف إلى عرض الحقيقة العلمية بأمانة وصدق وبنظرة مستقبلية وإن تغفله بغلاف له تألق القصة وبريقها¹. يرى الكاتب هنا يعتمد الصدق والأمانة وهذه المواصفات تحد من الجد والابتكار .

والخيال العلمي كما يعرفه نهاد شريف رائد أدب الخيال العلمي" هو تناول التقدم العلمي ومنجزات التكنولوجيا وتطورها من خلال أحداث درامية تعتمد على المزج والمصالحة بين الأدب والعلم فالأول قائم على الخيال والثاني قائم على التجربة وهو باختصار بين النشاط الخيالي والنشاط العلمي للإنسان².

يرى نهاد شريف ضرورة استغلال العلم والتكنولوجيا من خلال النص الدرامي الذي بدوره يعتمد العلم والأدب في الآن ذاته فنتج نصوص درامية قمة في الرقي والتطور.

وفي نظر طارق الجبوري "مصطلح الخيال العلمي لا يعني على الإطلاق الالتزام الدقيق بالحقائق العلمية الصرفة"، ومعنى ذلك أن ظاهره الطموح في أدب قصص الخيال العلمي ليست منبثقة من مجال العلم المحض أي عن التنبؤ العلمي بل هي -بعد التحليل الدقيق- حالات خيالية وجدانيه قد تصدق أحيانا وقد لا تصدق في الأعم الأغلب في المستقبل المنظور، وربما في المستقبل البعيد فهي كالأحلام أو الأمنيات الجميلة وإن كان بعضها

¹ شعيب حليفي، الرواية والخيال العلمي، ص44.

² صلاح الدين معاطي، الخيال العلمي بين العلم والخرافة، ص9.

يمكن التحقيق في يوم من الأيام، هذا ناهيك عن كون مصطلح (Fiction) ينطوي على حوادث مرورية خيالية محضة أو مُبالغ فيها إلى درجة الإزعاج أي (أسطورة خرافية)¹.
ينفي طارق الجبوري عن مصطلح الخيال العلمي أن يكون بالضرورة مرتبط بالحقائق العلمية، فيراه كالأحلام مجرد حالات خيالية وجدانية قد تتحقق وقد لا تتحقق كما يرى كلمة Fiction لها دلالات كثيرة ولا تعطي الدلالة المناسبة للمصطلح.
ويقول نوري جعفر: "يخضع الخيال العلمي والخيال الأدبي لمنطق العلم ويخضع منطق العلم للخيال الأدبي"².

يرى نوري جعفر أن الخيال العلمي والخيال الأدبي كلاهما ينطوي تحت راية العلم كما أن منطق العلم لا يمكنه أن يبتعد عن الخيال الأدبي فإذا كان الأديب يحتاج للخيال ليعبر عن حالات وجدانية، فإن العالم يحتاج للخيال لكي يتمكن من الابتكار والتجريب واكتشاف الجديد.

وخلصه القول أن العرب كغيرهم لم يخلصوا إلى تعريف شامل لمصطلح الخيال العلمي لأنه يتّصف باختلاف مواضيعه الشائكة وتتوّعها، فهو نوع من الأدب مقترنا بالعلم والتكنولوجيا وتطورهما من خلال البحث والكشف عن معطيات جديدة تفتح له آفاق المستقبل بكلّ أبعاده، وقد كان للعرب اجتهادات فعّالة في تطوير هذا النوع من الأدب الذي لم يلق الرّواج الكبير في بداياته، أما اليوم فقد أصبح أدب العصر.

رابعا: تعريف التخيل

1- لغة:

خال الشيء يخاله خيلا وخيلا وخيّلة وخيّلة، وخالا وخيلا، وخیلانا ومخیلة وخیلولة: ظنه وفي المثل: من يسمع يخل أي يظن... وخیل فيه الخير وتخیله: ظنه وتفرّسه. وخیل

¹ محمد أحمد مصطفى، أدب الخيال العلمي العربي: الراهن والمستقبل، مجلة فصول الهيئة المصرية العامة للكتاب، العدد 71، 2007، ص 84.

² المرجع نفسه، ص 85.

عليه: شبّه. وأخال الشيء: اشتبه. ويقال: هذا الأمر لا يخيل على أحد أي لا يشكل. وشيء مخيل أي مشكل.

والمخيل والمخيّلة والمخيّلة: التي إذا رأيتها حسبتها ماطرة، وفي التهذيب المَخِيْلَةُ بفتح الميم السحابة، وجمعها مخايل وقد يقال للسحاب الخال.¹

"خال الشيء" أي اعتقد وحسب و"خيّل فيه الخير وتخيله ظنه وتفرّسه" بمعنى تملّكه. "وخيل عليه: شبّه" تماثلت صورته لديه، "وأخال الشيء اشتبه" بمعنى شبّهه، ويقال "هذا الأمر لا يخيل على أحد أي لا يشكل" بمعنى لا يصعب على أحد، "وشيء مخيل أي مشكل" بمعنى صعب، "والمخيل والمخيّلة والمخيّلة التي إذا رأيتها حسبتها ماطرة" السحابة الماطرة، "وفي هذا التهذيب المَخِيْلَةُ بفتح الميم السحابة وجمعها مخايل قد يقال للسحاب الخال" والخال هنا تدل على السحابة كما تدل على أخ الأم.

ب- اصطلاحاً:

التّخييل هو نشاط ذهني ملازم للإنسان في كل حالاته النفسية وعبر مختلف أزمنته الوجودية، بحيث يثري أنماط تفكيره في توجيه مواقفه وأفعاله تجاه ذاته والآخرين.² ومنه فالّتّخييل يعتبر مكسباً تراثياً هاما تتقاسمه البشرية جمعاء، فهو يعبر عن حالات ذهنية ووجدانية مبنوثة في الإنسان تظهر في شكل حالاته النفسية تصاحبه عبر مختلف مراحل حياته ممّا يساعده على توجيه مواقفه وتصرفاته تجاه نفسه وغيره.

التّخييل عند دوريت كويت: هو القصة المبتدعة، وهو ضرب من الكلام المباين للحقيقة من جهة ما فيه من تضليل وكذب -من حيث هو إيهام بالواقع- فهو معرّف بكونه الوجه المقابل للواقع والمضاد له.³

¹ ابن منظور، لسان العرب، ص: 191.

² ليلي يونس، تجليات التاريخ في رواية حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر لعز الدين جلاوي، مذكرة ماستر، إشراف: روفيا بوغنوط، كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية، جامعة العربي بن امهيدي، أم البواقي، 2012م، ص8، 9.

³ المرجع نفسه، ص10

إذن التخيل هو ما يبتكره الأديب وهو يخالف الواقع تماما لأنه يعتمد على التضليل والكذب والإيهام بالواقع.

خامسا: تعريف رواية الخيال العلمي

هي ذلك النوع الروائي الذي يتخذ من اكتشافات العلم الحديث واختراعاته مضمونا له، وإن كانت العلاقة بين الأدب والعلم في الرواية العلمية تبدو مصطنعة إلى حد ما إلا أنها تؤكد على أية حال التأثير الذي يمارسه التطور العلمي على الأشكال الأدبية فلا يكفي أن يصبّ الروائي مضمونه العلمي أو التكنولوجي في قالب روائي لكي تصبح رواية علمية، بل يحتّم وجود علاقة عضوية بين الشكل والمضمون، بحيث يصبح العنصران شيئا أو جسداً واحداً¹.

إذن رواية الخيال العلمي هي شكل أدبي يتخذ من العلم واختراعاته مادّة له، كما يظهر جليا تأثير التطور العلمي على الأدب، ولا يمكن أن نعتبر الرواية التي تحتوي على العلم والتكنولوجيا رواية خيال علمي بل يشترط فيها وجود علاقة وطيدة بين الشكل والمضمون بحيث يصبحان كالجسد الواحد.

فالعلم وحده لا يصنع أدبا وكذلك الأدب وحده لا يصنع أدب الخيال العلمي، ولذلك لا يمكن أن يتخلى أحدهما عن الآخر حتى نحصل على ما يُعرف برواية الخيال العلمي، وهي قصة غير واقعية تستثمر ما توصل إليه العلم من تطور، أما زمانها فهو يعبر عن الماضي أو المستقبل البعيد في حله الجديدة، كما أنها تعتبر وليدة التكنولوجيا وما توصلت إليه من تطور في اختصاصات متنوعة مثل: الطب والفضاء..... وغيرها التي انتفعت بها البشرية وأخذت بيدها إلى بر الأمان، وبهذا يكون أدب الخيال العلمي أدبا يُثري به الإنسان أفكاره، ويدفعه إلى البحث الجادّ والمزيد من التنقيب عن عوالم جديدة.

¹ مها مظلوم خضر، بناء رواية الخيال العلمي في الأدب المصري المعاصر، مطبعة الأوفست الحديثة، ط1، 2001، ص26-27.

نخلص إلى أن رواية الخيال العلمي هي رواية يشترط في بناء أحداثها وجود ما توصل إليه العلم والتكنولوجيا من اختراعات واكتشافات ومزجها بما للأدب من فنيات كالخيال الذي بواسطته يستطيع روائي أن يمنح روايته تأشيرة الوصول إلى مبتغاهما. وتكمن رسالة الخيال العلمي كما يرى ازيموف في سعيه لتدريب عقول البشر وتعويدها على تقبل حتمية التطور التقني المتسارع... وتتحدد رسالة الخيال العلمي ووظيفته في تنمية مخيلات الناس وتعليمهم ومنحهم القدرة على التفكير في المستقبل ويبقى أدب الخيال العلمي في معظم الأحوال وسيله لإثراء خيال الإنسان ومنحه المزيد من الاطلاع على آفاق المستقبل لإغراقه بفيض من المعارف والمعلومات عن هذا المستقبل¹. فرسالة الخيال العلمي كما يحددها ازيموف تبدو عظيمة جدا، فهو يسعى إلى تنمية قدرات الإنسان، وتعويده على المزيد من البحث والاطلاع، كذلك إغراقه بالكثير من المعارف والمعلومات عن المستقبل وما يحمله من مجهول.

سادسا- نشأة وتطور أدب الخيال العلمي:

يعتبر أدب الخيال العلمي جنسا أدبيا جديدا برز على الساحة الأدبية وذلك في بداية القرن العشرين، وأول ما ظهر كان في الولايات المتحدة الأمريكية حيث تم صنع المصطلح من طرف هوفوجيرنسباك وتطور تدريجيا إلى أن بلغ أوجّه وصار معترفا به رسميا، حيث أدرج ضمن المناهج الدراسية لتكون الأجيال اللاحقة على دراية واطلاع عليه. فكيف ظهر عند الغرب وعند العرب؟

أ- عند الغرب:

ليس هناك تاريخ محدد متفق عليه لظهور روايات أدب الخيال العلمي لكن يمكن أن نبيّن أنها ظهرت مع روايات اليوتوبيا التي كتبها توماس مور عام 1516 ورواية فرانكشتاين التي كتبها ماري شيلي 1818، لكن البداية الفعلية والناضجة كانت مع جول

¹ مها مظلوم خضر، بناء رواية الخيال العلمي في الأدب المصري المعاصر، ص 26-27.

فيرن الذي فتح باب التأسيس لهذا النوع من الأدب.. حيث كان يمتلك قدره هائلة على التخيل¹.

أما هيربرت جورج ويلز فقد كان يلقب بشكسبير الثاني وقد برز اسمه على الساحة الفنية وذلك لإلمامه بجميع جوانب الحياة السياسية، والاجتماعية مما جعله يعتبر أحد الرواد المؤسسين لهذا اللون من الأدب، وكتب أول رواياته العلمية الخيالية "آلة الزمن 1895"، والتي تعدّ أعظم روايات الخيال العلمي، وفيها يتخيل أن بطله صنع آلة حين يدير عجلتها يستطيع أن يقفز فوق الزمن².

كان جول فيرن وهربرت جورج ويلز أهم رواد أدب الخيال العلمي بفضل كتاباتهما وتنظيراتها، ولقد لقي هذا الأدب رواجاً واسعاً على الساحة الأدبية واكتسب مكانة مرموقة جعلت منه أدب العامة بعد أن كانت تكتبه مجموعة من الهواة. وفي الاتحاد السوفياتي نجد أدب الخيال العلمي في بدايات القرن العشرين التيار الوحيد الذي لقي اهتماماً كبيراً وحظي بالتشجيع من طرف السلطات، وهو التيار الموروث عن جول فيرن والمتعلق بالرحلات الجديدة الغربية للنظام الجديد في روسيا³. واستيقظ الخيال العلمي السوفياتي على يد ويفيان افريمون الذي يعدّ أحد كبار كتّاب الخيال العلمي في الاتحاد السوفياتي بنشر رواية "سديم المرأة المسلسلة" ثم أعقبها بعد ذلك بسنتين برواية "بوق سربينتس"⁴.

¹ محمد عبد الخربوطي، محمد عزام وكتابه أدب الخيال العلمي، مجلة الخيال العلمي، وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، سوريا، العدد 47، 2013، ص 12.

² جميلة محمد المحمد، ماذا تعرف عن أدب الخيال العلمي؟ مجلة الحوار الجمعة 3 يونيو 2015، 00:13، 2015
www.alhlw.ormazine.blogspot.com

³ جان غاتينيو أدب الخيال العلمي، تر: ميشيل خوري، دار النشر طلاس، ط1، دمشق 1990، ص 51.

⁴ المرجع نفسه، ص 52.

نخلص إلى أنّ أدب الخيال العلمي في الاتحاد السوفياتي اقتفى آثار فيرن بالإضافة إلى ظهور ثلّة من رواد هذا الأدب على رأسهم ويفيان افريمون الذي أثرى برواياته الساحة الأدبية السوفياتية.

ومنه فإنّ مهد أدب الخيال العلمي كان عند الغرب نتيجة للثورة الصناعيّة والتطور التكنولوجي الحاصل في تلك الحقبة من القرن العشرين التي ازدهر فيها هذا اللون من الأدب وشق طريقه محققا طموحات البشرية في الوصول إلى الفضاء الخارجي إذا استغل استغلالا عقلانيا، لكن الإنسان وللأسف لم يتوقّف عند هذا الحد فقد استغلّ هذا الأدب في أغراض عسكرية نتيجة لتناحر القطبين المسيطرين على العالم (أمريكا، الاتحاد السوفياتي) .

وفي مقالة بعنوان جذور أدب الخيال العلمي يعود بنا روبرت سكولز إلى التراث الذي يؤدّي إلى الخيال العلمي -على حد تعبيره- انطلاقا من الفكرة المألوفة في النقد الأنجلو سكسوني خلال القرن الثامن عشر التي تقتضي التمييز بين مدرستين لأدب الخيال العلمي ويقوم هذا التمييز اعتمادا على علاقتهما بعالم التجربة الواقعي، ومن هنا يحدّد كلّ من الواقعي والخيالي، فالمبدأ الذي يحكم القصص الخيالي يعتمد على تعطيل القوانين الطبيعية وهذا ما أنتج خصائص جديدة للقصص وكان على إحدى هذه الطرق.... أن تعطل قوانين الطبيعة لتسبغ مزيدا من القوة على القواعد القصصية التي هي نفسها إسقاطات للنفس البشرية في شكل رغبات ومخاوف مشروعة وتكون هذه القواعد البحثية في جذر كل نسيج قصصي هي نفسها السيمات المميزة والمحدّدة لجميع الأشكال القصصية¹.

ومنه فأدب الخيال العلمي على حسب سكولز يقوم على تعطيل قوانين الطبيعة فتضفي مزيدا من القوّة على القواعد القصصية التي تعبّر عمّا يعتمل في النفس البشرية

¹ روبرت سكولز وآخرون، آفاق أدب الخيال العلمي، ترجمة حسين حسين شكري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ط)، 1996، ص27، 28.

من طموحات ومخاوف طبيعية، وعلى الرغم من الفروق الواضحة والكبيرة بين أدب الخيال العلمي والأسطورة بالشكل الذي يجعل كل نوع مستقلاً بذاته، إلا أنّ الأسطورة من حيث هي استنساخ كليّ عن الواقع تعدّ من جذور أدب الخيال العلمي، إذ أنّهما يشتهان من حيث انتمائهما للخيال وبالعودة إلى الأسطورة التي كانت وسيلة مفضّلة عند الدينيين يمكن استخلاص سبب هذا التفصيل كون الديانات قد أقرّت بوجود عالم واقعي وآخر غيبي¹.

يرى سكولز أنّ الأسطورة تعتبر من جذور أدب الخيال العلمي لأنهما يشتهان من حيث انتمائهما للخيال كما أنّ الأسطورة مفضّلة خاصة عند الدينيين لأنها تؤمن بوجود عالم واقعي وآخر غيبي.

كلاسيكيات الخيال العلمي:

يسمّي محمود قاسم المرحلة التي برز فيها كل من جول فيرن (1858-1905) و(ه.ج. ويلز 1866-1946) والتي تحدّد تاريخياً بأواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين بكلاسيكيات الخيال العلمي أو مصطلح رومانسيات النوع، تنتمي جميعاً للقرن العشرين فقد وضع رجال العلم النماذج الأدبية التي ابتدعها الأدباء وراحوا يصمّمون مخترعاتهم لتجيء أقرب إلى ما ابتدعه خيال الفنان².

ومن هنا قامت كلاسيكيات أدب الخيال العلمي على التنبؤ بمخترعات علمية فكّر فيها العلماء بجدية وحولوها من خيال في القرن التاسع عشر إلى واقع مع بداية القرن العشرين.

يقول تولستوي عن جول فيرن: قرأت رواياته وأنا في سن الرجولة ومع هذا فقد سحرتني³.

¹ روبرت سكولز وآخرون، آفاق أدب الخيال العلمي، ص 29.

² محمود قاسم، أدب الخيال العلمي، أدب القرن العشرين، دار العربية للكتاب، (د.ط.)، 1993، ص 31.

³ المرجع نفسه، ص 30

نأتي إلى الكاتب الثاني في الخيال العلمي وهو ه. ج. ويلز حيث شرع في اتخاذ شكل يميّزه خاصة بعد رواج المجالات المتخصصة فيه غير أنه لم يطلق على إبداعه القصصي الجديد اسم أدب الخيال العلمي بل سمّى ما كتبه في هذا القصص (قصص العلم التي تقرأ في جلسة واحدة) أو (قصص المغامرات العلمية)، وفي سنة 1929 أطلق هوجو جرنسباك على هذا الجنس من القصص الاسم الذي يلتصق به وهو أدب الخيال العلمي¹.

إنّ ويلز كان مؤرخا وباحثا وعالما اشتراكيا جادا الأمر الذي جعل رواياته تحضى بقدر كبير من القابلية للتصديق، حتى على المدى الزمني الأكثر اتساعا ولم تعد مجرد خيالات تأملية بقدر ماهي تنبؤات مقروءة في المستقبل².

حضي ويلز بمكانة مرموقة نظرا لنبوغه في مجال أدب الخيال العلمي ووفرة إنتاجه مما جعله يتمتع بشعبية كبيرة.

وبالرجوع إلى كتاباته في هذا المجال يمكن تقسيم مسارها إلى ثلاث محطات رئيسية يحددها محمود قاسم في ما يلي:

المرحلة الأولى: تمحورت كتابات ويلز حول المستقبل البعيد، جسّدتها روايات آلة الزمن 1895 وجزيرة الدكتور مورو 1898، الرجل الخفي 1897 وحرب العوالم 1898.

المرحلة الثانية: انتقل فيها ويلز من التخيل العلمي إلى البحث القائم على التمحيص والتدقيق في ما يدرسه دون العودة إلى الخيال، وفي هذه الفترة قدّم روايات منها تاريخ الدكتور دييلي...

المرحلة الثالثة: كتب ويلز قصص أطول من التي كتبها من قبل مثل: عالم وليام كليسولد، وشكل الأشياء في المستقبل، وعقل العالم، بالإضافة إلى موجز تاريخ العلم ودراسات أخرى³.

¹ روبرت سكولز وآخرون، آفاق الخيال العلمي، ص46.

² محمود قاسم، أدب الخيال العلمي، آداب القرن العشرين، ص41.

³ المرجع نفسه، ص42.

لم يمثل هذه المرحلة جون فيرن وه. ج. ويلز فقط هناك مجموعة من الكتاب على غرار مارك توين بقصته: أمريكي في بلاد الملك آرثر، لم يكرس مارك توين قلمه في خدمة أدب الخيال العلمي، ولكننا أوردناه هنا لأنه استخدم آلة الزمن كفكرة أساسية للربط بين عالمين، كذلك فإن الكاتب ايدجار رايس بورو (1875-1950) مبتدع شخصية طرازان قد صعد إلى الفضاء في إحدى رواياته كذلك فعل آرثر كونان مبدع شخصية شارلوك هولمز عندما جعل أبطاله يسافرون في أوائل القرن العشرين إلى القمر¹.

وفي إنجلترا ظهر صموئيل جونسون صاحب قصة راسلاس، وتوماس كارلايل في كتابه عن سارتور ستار ريبوس، وفي بولندا ظهر علماء عديدين كتبوا للخيال العلمي مثل أنتوني لانكة (1861-1992) صاحب رواية "البعد الرابع"، أما فلدسلاف أومتستي (1865-1949) فقد قدّم في عام 1895 رواية بعنوان "في عوالم مجهولة" صعد فيها أيضا إلى أبعد مما راح ويلز وفيرن في تلك السنوات². إذن فبعد فيرن وويلز ظهر روائيون كثير تناولوا مواضيع مختلفة زادت من اتساع مجال أدب الخيال العلمي وتطوره وشيوعه فاتسعت رقعته عند الغرب.

المرحلة الثانية: سنوات النشاط المحدود:

إن تقسيم تاريخ أدب الخيال العلمي غير محدد تاريخيا بشكل صارم، إذ أنه ضرورة منهجية ودراسية في الآن ذاته إلى أن تظهر الأعمال الأدبية التي تعرب حقا عن تشكّل ملامح مرحلة جديدة لذلك فهذه المرحلة أيضا والتي يسميها محمود قاسم بمرحلة النشاط المحدود. لم تبدأ بعد انتهاء المرحلة الكلاسيكية مباشرة إذ أنها في نقطة ما قد عاصرتها.

فويلز كان يكتب ويمارس نشاطاته في الآن ذاته غير أنه اتجه إلى أنواع أخرى غير الخيال العلمي، وإذا كان من الصعب تحديد بداية سنوات هذه المرحلة، فإنه قد اتفق

¹ محمود قاسم، أدب الخيال العلمي، آداب القرن العشرين، ص 52.

² المرجع نفسه، ص 52.

على أنها انتهت عام 1938 بظهور مجلات الخيال العلمي التي أشرف عليها جون كامبل، وقد اختلف الكثيرون حول هذا التقسيم.¹

نخلص إلى أن تاريخ أدب الخيال العلمي لم يقسم بشكل نهائي ويصعب تحديد تاريخ متفق عليه، لكن الدارسين اجمعوا على أن تاريخ انتهاء هذه المرحلة بمجرد ظهور مجلات الخيال العلمي، ويبقى الاختلاف فيها قائما من حيث تقسيم المراحل. لكن يمكن اعتبار هذه المرحلة مرحلة انتقالية على أساس أنه لم يكتب أدب خيال علمي خالص، ومن بين كتاب هذه المرحلة نذكر الكاتب الانجليزي (الدوس هكسلي 1894-1963) برواياته "عالم جديد وشجاع"، "وتقابل الألمان"، "وضرير في غزة".... صور فيها شكل الحياة في المستقبل وطبيعة البشر فيها والمبادئ التي ستتغير بفعل سلطة العلم. أما جوردن نيكسون فله قصة "العقول الإلكترونية لا تناقش" صدرت سنة 1929 وهي قصة ذات تكنيك سردي عميق تقدم نفسها في صورة مراسلات منطقية متبادلة بين العقول الإلكترونية بخصوص قارئ ينتمي إلى أحد النوادي.²

بالإضافة إلى روائيين كثر منهم بلجاكوز في رواية "النبض المشؤون"، وإدوارد سميث صاحب رواية "قوس قزح في الفضاء"....³

وفي نفس الوقت تقريبا قدم الأمريكي ألمر رايس مسرحيته "الآلة الحاسبة" عام 1923 وهي المسرحية الوحيدة ضمن مسرحياته القليلة التي كتبها.⁴

نخلص إلى أنه بعد فيرن وويلز ظهر العديد من الروائيين وكتاب المسرحيات الغربيين الذين أضافوا إلى أدب الخيال العلمي بتصوّراتهم العميقة في مجال العلم والتكنولوجيا، محققين طموحات البشرية في اختراق الفضاء الخارجي وصولا إلى القمر. محققين قفزة نوعية في هذا النوع الأدبي.

¹ محمود قاسم، أدب الخيال العلمي، آداب القرن العشرين، ص57.

² المرجع نفسه، ص65.

³ المرجع نفسه، ص67.

⁴ المرجع نفسه، ص69.

المرحلة الثالثة: عصر الازدهار في أدب الخيال العلمي:

تزامن ازدهار أدب الخيال العلمي مع التطور الكبير في العلوم وتكنولوجيا وهو تطور فاق كل التصورات، إذ شهدت المرحلة بروز كثير من الكتاب على الذين ساهموا في إقرار واقع الوفرة والنوع، فقد تميزت كتاباتهم بالنضج والتخصّص في أغلب التجارب¹.

هدف الخيال العلمي في سنوات النضج أن يقدم تصوّراً فكرياً وتربوياً يحطّم بلا هوادة عاداتنا في الحياة وأسلوبنا في التفكير، لأولئك الذين برعوا فيه فقد أصبح المجال الثقافي الوحيد القادر بحق على معالجة المشاكل التي يطرحها النمو المتزايد للتقنية والعلم. نخلص إلى أن تطور أدب الخيال العلمي يعود إلى أفكار بعض الروائيين الذين استفادوا من الطفرة التقنية الحاصلة في ذلك الزمن مما جعلهم يبدعون في إنتاج أعمال فريدة من نوعها أضافت إلى هذا اللون الروائي ومكنته من الشيوع والذيعوع في كل العالم سواءً الغربي أو العربي.

ب- عند العرب:

الخلاف فيه كان على أشدهً فهناك من يرى أن للعرب جذوراً راسخة في أدب الخيال العلمي وذلك بقصص "ألف ليلة وليلة" و"حي ابن يقظان" لابن طفيل "ورسالة الغفران" للمعري....

وهناك من يرى أن العرب لم يعرفوا أدب الخيال العلمي إلا ترجمة واقتباساً عن الغرب وهذا يبين أن الدول المتقدمة تكنولوجياً هي الأكثر حظاً من غيرها في ظهور هذا اللون من الأدب، لكن هذا لا يمنع أن يكون للعرب بعض الكتابات في هذا المجال، وتعتبر فترة السبعينيات المرحلة الذهبية لأدب الخيال العلمي حيث ظهرت نصوص كثيرة ومتنوعة، كما اقتحمت المرأة الكتابة فيه، بالإضافة إلى ظهور نقد خاص به.

¹ محمود قاسم، أدب الخيال العلمي، آداب القرن العشرين، ص72.

ولقد مرّ أدب الخيال العلمي في جميع أنحاء الوطن العربي بثلاثة مراحل أساسية كان لكلّ مرحلة كتابها وروادها:

1- فترة الرواد 1926-1969: في هذه الفكرة ظهرت قصة "خيمي" لسلامة موسى وهي قصة فلسفية رمزية فيها دلالات الخيال العلمي، وبعدها يأتي أول كاتب عربي نو تكوين علمي ألا وهو الدكتور يوسف عز الدين عيسى الذي شقّ طريقه عبر البث الإذاعي وأول تمثيلية أذيعت له عام 1940 هي "عجلة الأيام"، وأذيعت له أيضا "بنورة الأميرة المسحورة" و"رجل من الماضي" 1950، كان الدكتور يوسف عزيز الإنتاج غير أن أدبه لم يطبع إلا في ملخصات على صفحات الجرائد والمجلات التي يصعب العثور عليها.

أما توفيق الحكيم (1902-1987) فقد ظهرت بذوره في البداية على مستوى مسرحية في الخيال العلمي تحت عنوان "لو عرف الشباب" أما مجموعة "ارني الله" 1953 فتضمّ قصتين قصيرتين في الخيال العلمي وهما "الاختراع العجيب" و"سنة المليون"، غير أنه لم يرق إلى الخيال العلمي الصرف، كما ظهرت رواية "من أين؟" 1995 لفتحي غانم وكذلك روايتين شهيرتين للدكتور مصطفى محمود وهما "العنكبوت" و"رجل تحت الصفر"¹.

فالانطلاقة لهذا اللون من الأدب كانت من مصر حيث أنّ سلامة موسى يعتبر أول الرواد في هذا المجال وذلك ابتداء من سنة 1926 بقصته المعنونة بخيمي وأيضا الفضل يعود لصاحب التكوين العلمي يوسف عز الدين عيسى بما كان يبثّه عبر الإذاعة مع أنّ أعماله كانت معرضة للضياع والإهمال لأنها كتبت على صفحات الجرائد بالإضافة إلى ظهور العديد من الرواد في هذه الفترة.

2- فترة الازدهار 1970-2000: أول كاتب في هذه الفترة هو الكاتب المصري نهاد شريف (1932) الذي أصدر أول رواية له قاهر الزمن (1973) وبعدها مجموعة قصصية" رقم 4 يأمركم" (1974) ثم "سكان العالم الثاني" (1977)، وهناك كاتب سوري كثير الإنتاج

¹ ينظر: محمد أحمد مصطفى، أدب الخيال العلمي العربي: الراهن والمستقبل، ص86.

على جميع المستويات وهو الدكتور طالب عمران (1948) كما ظهرت في مصر الدكتورة أميمة خفاجي برواياتها "جريمة عالم" (1990) بالإضافة إلى الإنتاج الغزير ظهرت لأول مرة كتابات في نقد الخيال العلمي، ويرجع ذلك إلى يوسف الشاروني الذي قام بدور كبير في تشجيع الكتاب¹.

نخلص إلى أنه هذه الفترة ازدهر فيها أدب الخيال العلمي وانتشر في أغلب البلدان العربية وذلك بفضل تشجيعات بعض الرواد والنقاد الذين برزوا في هذه المرحلة مما أدى إلى تطوره والتحاق كتاب كثير به وتمكنهم من الكتابة فيه رغم الصعوبات مع أن بعض الكتابات لم ترق إلى المستوى المطلوب.

3- الحالة الراهنة للخيال العلمي العربي:

نلاحظ عدد الكتاب العرب قليلون بالمقارنة بالسائنة العربية التي تعدّ حسب التقديرات الأخيرة بـ 28 مليون نسمة ما يقرب من 40 كاتباً عدد منهم متوفى والآخرين حالياً غير نشطين، يجب القول أنه لا توجد مؤسسات أكاديمية متخصصة تستطيع أن تمدنا بأرقام دقيقة، ففي نظر الكاتب المغربي محمد برادة عدد الكتاب المتخصصين لهذا النوع لا يتجاوز 35 هذا ما أعلن عنه في ندوة القصة العربية ورؤى المستقبل في ملتقى الدوحة 26 مارس 2006، كذلك غياب بنيات تحنّية وغياب حوار حقيقي بين الناشرين ومروّجي الكتاب في العالم العربي².

إذن فلا مجال للمقارنة مع الغرب لأنّ اهتمامهم بهذا الأدب أكبر وذلك بكثرة الدوريات وانتشار واسع للمجلات التي تسعى إلى تطوير هذا الأدب واستغلاله أحسن استغلال هذا ما جعله يؤتي أكله عندهم، ويبقى العرب رغم المحاولات الكثيرة والفردية في دائرة التخلف نظراً للظروف المحيطة بهم وإمكانياتهم التي لا تفي بالغرض المطلوب.

¹ ينظر: محمد أحمد مصطفى، أدب الخيال العلمي العربي: الراهن والمستقبل، ص 86، 87.

² المرجع نفسه، ص 89.

نماذج من أدب الخيال العلمي عند العرب:

1- في مصر: لقد ظهر في مصر مجموعة كبيرة من الروائيين وكتاب أدب الخيال العلمي الذين تركوا بصمة وأثرا واضحا في هذا المجال على الرغم من أن البدايات كانت محتشمة لكن بعد مرور عدة سنوات أثمرت جهود المهتمين بهذا الأدب، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر نهاد شريف من طلائع الكتاب الذين كتبوا في مجال أدب الخيال العلمي هو الذي أصدر أول رواية له "قاهر الزمن" 1973 وهي تتناول فكرة تبريد الأجسام إلى درجة حرارة معينة بحيث لا تنمو ولا تتحلل انتصارا لاكتشاف علاج للأمراض أصحابها المستعصية أو جراحتهم الخطرة للإستفادة من ذكائهم وقدرتهم مستقبلا¹.

ورواية رقم "4 يأمركم" يبدأ الصراع الدرامي فيها بين قوى تستخدم العلم لقهر الإنسان وقوى أخرى تستخدمه للقضاء على هذا القهر والانتصار يكون دائما إلى جانب القوى التي تقاوم استخدام العلم لقهر الإنسان².

كذلك توفيق الحكيم حيث كتب مسرحيته "رحلة إلى الغد" 1958 التي تدور حول اثنين محكوم عليهما بالإعدام ثم تخييرهما بأن ينفذ فيهما حكم الإعدام أو السفر في رحلة علمية نحو الفضاء.....

ومن مسرحياته أيضا نذكر "لو عرف الشباب" كذلك أقصوصة "سنة المليون" 1953 ومن الكتاب البارزين نذكر مصطفى محمود فقد تميّزت كتاباته بالاستشرافية وقراءة المستقبل اعتمادا على تفهمه واستيعابه لمجريات الأحداث فقد كتب عن سقوط جدار برلين وكذلك تنبأ بالهجمة الشرسة التي مني بها الإسلام قبل أن تحدث بأكثر من عشرة أعوام³. بالإضافة إلى الكثيرين من الكتاب الذين لمعت أسمائهم في أدب الخيال العلمي، وكانت لديهم احترافية فيه جعلت من هذا الأدب يرقى إلى مستوى عالي وينافس الغرب

¹ صلاح الدين معاطي، الخيال العلمي بين العلم والخرافة، ص91.

² المرجع نفسه، ص92.

³ المرجع نفسه، ص82، 83، 84، 86.

خاصة عند المصريين الذين كانوا السابقين في هذا الميدان لوجود كتاب واعين أثمرت جهودهم في هذا اللون الأدبي المتميز.

2- في الجزائر: على عكس المشرق وبالتحديد في مصر التي شهدت هبة وثورة كبيرة في مجال الأدب الخيال العلمي بين كتّابه إلا أنها في الجزائر كانت متأخرة على الساحة الأدبية والنقدية ولم ترق إلى المستوى اللازم، لكن هذا لم يمنع من وجود كتابات ومحاولات مهّدت لظهور هذا اللون الأدبي.

ومن تلك الكتابات نجد الكاتبة الجزائرية حبيب مونسى في روايتها "جلالته الأب الأعظم" حيث يصوّر لنا الروائي حياة مستقبلية لمجتمع يبدأ سنة 2018 وينتهي سنة 2099 وهو مجتمع يتسم بالقتامة والسلبية، عملت فيه الآلة على تجريد الإنسان من مشاعره، تقوم هذه الرواية على مبدأ المحو والتجاوز نحو إنسانية الإنسان ومشاعره وتخطيها لبلوغ تعالي الآلة وقدراتها التي تفوق الإنسان في البرمجة والاستجابة الفورية¹.

الصراع كان جله مع الإنسان والآلة التي من المفروض أنها تكون في خدمة الإنسانية. والشيء ونفسه تصوّره قصّة المعزول في مجموعة فيصل الأحمر القصصية "وقائع من العالم الآخر" التي تقدّم جواً من المنافسة والصراع الحاد بين الإنسان البشري والإنسان الآلي، ويتوقّع فيها الكاتب سيادة تكنولوجيا الآلة على مستوى الخدمات الذهنية كفكرة التخاطر الذهني والكاتب هنا يقر بإمكانية سيطرة العقول الآلية على العقول البشرية وبالتالي يخشى من سيطرتها على سلطة القرار والقيادة².

مهما بالغ الروائيون في طرح أفكارهم وتصوراتهم يبقى الخوف والقلق يراودهم من سيطرة الآلة على عقل الإنسان وتوجيه قراراته. وتقدم لنا رواية أمين العلواني لفصل الأحمر حكايات متمفصلة زمنياً ومكانياً تمارس بجلاء نوعاً من اللعب على سرد أحداث ووقائع تقدّم مرّة بخيال علمي مستقبلي استشرافي حيث يتعلق الأمر بأمين العلواني، تقدم

¹ شعيب حليفي، الرواية والخيال العلمي، ص83، 84

² المرجع نفسه، ص84.

الرواية استنباطا لخفايا النفس البشرية المتألمة النازعة إلى التعالي وبلوغ اليقين، كما تتحدّث الرواية في عمومها عن هواجس الذات الكاتبة في النصف الأوّل من القرن الواحد والعشرين وعن ممكن الوسائط التفاعلية الناقلة لفعل الكتابة والمنتجة لشروط خارقة تصنع أبعادا لا محدودة في تداوليتها وفي قدرتها العجيبة على صنع المعرفة وتبديل القناعات والحقائق¹.

أمّا في قصة "على قارعة الطريق" فيبدو فيصل الأحمر في هذه القصة أكثر التقائا إلى الأبعاد الإنسانية وإلى المفارقة في علاقات البشر بعضهم ببعض².
نخلص إلى أنّ التجربة الجزائرية مقارنة بمثيلاتها في مصر كانت ضعيفة جدا نظرا لافتقار الكتابة الجزائرية إلى التشجيع وإلى نقد بناء يعيد بلورة هذه التجربة فقد كانت مجرد محاولات متفرقة هنا وهناك لم ترق إلى المستوى المطلوب.

3- في المغرب: كان أدب الخيال العلمي في المغرب لا يختلف عن مثيله في الجزائر وذلك راجع لغياب كتاب متخصصين في هذا النوع من الكتابة، وتبقى الروايات التي تنتمي إلى هذا اللون الأدبي محدودة، وقد كانت في شكل تجارب ومحاولات صنعت تجربة الخيال العلمي في المغرب.

ومن تلك التجارب نذكر تجربة المفكر والأديب الراحل محمد عزيز الحباني في روايته "إكسير الحياة" وتتعلق هذه الرواية من الجهود الجبارة التي بذلها العلماء لمحاربة بعض الأمراض وإطالة الحياة وتطرح مشكلة الموت والخوف منه لدى الإنسان، وتتخيل ماذا سيحدث في مجتمع سيتمّ فيه اختراع إكسير الحياة والخلود؟...

أمّا تجربة أحمد عبد السلام البقالي في روايته "الطوفان الأزرق" تتناول آفاق التطور العلمي سلبا وإيجابا، وخصوصا خطر القنبلة الذرية على الإنسان، إذ يصور عبد السلام البقالي فيها توجه هيئة علمية تضمّ مجموعة من العلماء والباحثين العالميين من

¹ شعيب حليفي، الرواية والخيال العلمي، ص47، 50 .

² فيصل الأحمر، دراسات في الأدب الجزائري المعاصر، ص47، 50.

مختلف الفروع نحو البحث للعثور على وسائل لإطفاء الحريق الذري والحد من أخطار التلوّث¹.

فكلتا الروائيتين عالجتا مواضيع اجتماعية هامة تخص الجنس البشري وتبين أهمية القناعة والرضا عند الإنسان بدل الركض وراء الأوهام الزائفة.

كما ظهرت محاولات محتشمة جانبت الخيال العلمي كما هو الحال في رواية عين الفرس للميلودي شلغوم التي تتضمن بعض خصائص الخيال العلمي وبعد زمن طويل تظهر رواية ثالثة تستجيب لخصوصيات الخيال العلمي وهي رواية "مجرد حلم" لعبد الرحيم بهير، لقد اتخذ هو الآخر من الخيال العلمي دعامة للرؤية الإبداعية البانية لروايته، وهي نقد الذات الجماعية وتشخيص الراهن العربي بخيالاته وهزائمه المتواصلة وبذلك تدرج روايته في مجال الهجاء السياسي الذي يعدّ من أهمّ مقومات أدب الخيال العلمي، انطلاقاً من مشكلة الحكم، تلك المشكلة التي لم يستطع العرب الحسم فيها طيلة أربعة عشر قرناً، وبعدها أصدر احمد افزران روايتين هما: "أبناء الشمس" و"قاع الدنيا"، وتلتها رواية "عودة إلى غرناطة عبر ساجيتوروس" لخالد اليعبودي².

فعلى الرغم من ندرة روايات الخيال العلمي في المغرب إلّا أنّ هناك كتابات جادة وصريحة تنمّ عن قدرات إبداعية متميّزة، وتؤكد قدرة هذا النوع من الرواية على تناول قضايا متنوّعة وهامة في مختلف المجالات.

4- في تونس: وكذا هو الحال في تونس على غرار الجزائر والمغرب فقلة وجود كتّاب متخصصين في هذا المجال أدى إلى قلة الكتابة فيه، رغم وجود مجموعة من الكتّاب الذين خاضوا في هذا المجال نذكر الهادي ثابت الذي اختار الكتابة في ميدان أدب الخيال العلمي لأنّه يعتقد أنّ مستقبل البشرية موكول إلى التقدّم العلمي الذي لا بد أن ينجزه الإنسان للخروج من المأزق الحضاري، فالكتابة في ميدان الخيال العلمي مكنت الهادي ثابت من

¹ شعيب حليفي، الرواية والخيال العلمي، ص96، 97، 103.

² المرجع نفسه، ص96، 97، 118.

بلورة طوباوية يصل فيها الإنسان إلى الرقي المادي والعقلي المتوازن ومن رواياته نجد غار الجن في الخيال العلمي 1999، والتي تدور أحداثها في أحد جبال مطماطة في الجنوب التونسي بطلها أرضيان: سائق سيارة سياحية تونسي ودليلة سياحة ألمانية، تتعرض مجموعة من الشبان الألمان إلى حادث طريق لا ينجو منه أحد سوى السائق التونسي والدليلة الألمانية وقد رمى بهما اصطدام السيارة في أحد المنعرجات داخل غار يسكنه أناس من الفضاء وتفتح الرواية على عالم الخيال العلمي حيث يتعرّف البطلان على بشرية جديدة وتكون لهما تجربة فريدة وغريبة مع أناس في أعلى مراتب الرقي الذهني والأخلاقي¹.

سعى الهادي ثابت إلى إبراز جوانب حقيقية في روايته ومزجها بالخيال فكانت روايته نموذجاً ناجحاً أثرى به الأدب التونسي. وله أيضاً رواية جبل عليين والتي تحكي رحلة في الفضاء بين الأرض وقانماد أحد أقمار المشتري العظيمة وهي تتمة لرواية غار الجن فبعد أن خضع بطلا رواية غار الجن إلى تمارين عديدة رشحتهما إلى التأقلم مع عالمها الجديد إنها رحلة خيالية في الفضاء بكل أبعاده: فراغه، برودته، انعدام الجاذبية فيه، ظلامه الدّامس، جسامته اللامتناهية، وعلى المريخ يكشف البطلان كوكبا يشبه الأرض لكنه قاحل لا حياة فيه، كما يتعرّفان على طموح القانماديين في تطويع العلم لزرع الحياة على المريخ².

سعى الكاتب من خلال هذه الرواية إلى تطويع العلم وجعله في خدمة البشرية وهذا هو الشيء الطبيعي والمنطقي فعلى العلم أن يكون هكذا بدل خراب البشرية وهلاكها، بين نعمة العلم إذا استغلّ استغلالاً عقلانياً. أمّا عن رواية "لو عاد حنّبعل" فقد مزج فيها بين التاريخ أي قراءة لتاريخ حنّبعل وقفزة في عالم الخيال العلمي حيث يصبح حنّبعل نسخاً

¹ صلاح الدين معاطي، الخيال العلمي بين العلم والخرافة، ص130، 131 .

² المرجع نفسه، ص131.

يستتسخه أناس الفضاء تجربة علمية يسعى هؤلاء الناس إلى التنبيه من المخاطر التي تحدق بكوكب الأرض من جراء أفعال الأرضيين من تلوث وحروب وأسلحة فتاكة¹. ومن ذلك فان روايات الكاتب التونسي الهادي ثابت كانت روايات هادفة مشحونة بالواقع الحقيقي ومصبوغة بألوان الخيال العلمي التي تسبح بالفكر والعقل البشري إلى حياة وعوالم أخرى من نسج الخيال.

5- في سوريا: أما في سوريا، يبرز الكاتب طالب عمران في مقدّمة الكتاب المشهورين كذلك بكثرة التأليف في أدب الخيال العلمي والتنظير له، وطالب عمران ليس كاتباً عادياً، إذ أنه يأتي من مخابر العلم وهو الحاصل على درجة الدكتوراه بموضوعه المنطويات التفاضلية والفلك عام 1984م، من الذين يؤمنون بأنّ الخيال هو سرّ المعرفة والإبداع. ولم تتخذ كتابات طالب عمران في مجملها طابعاً إبداعياً، إذ أُلّف مجموعة من الكتب التي بسّط وشرح فيها الحقائق العلمية بالشكل الذي يجعل أيّ قارئٍ بسيط غير متخصص يفهمها، ممهّداً بها إلى عملية التنظير لهذا النوع من الأدب، كتابه في العلم والخيال العلمي، حيث يمكننا أن نلمح في محتواه، تقديماً علمياً ثم نقداً أدبياً، حيث اشتمل سبعة فصول، (الأرض كوكب الحياة، الإنسان ينفذ إلى الفضاء، العلم يحل مشاكل الإنسان، لسنا وحدنا في الكون، اتجاهات في أدب الخيال العلمي في العالم، الأدب العلمي في الوطن العربي، دراسة تطبيقية في سينما الخيال العلمي)².

6- في موريتانيا: هناك الكاتب الموريتاني الحائز على الدكتوراه في الفلسفة من جامعة السوربون وهو الروائي موسى ولد بنو 1952 الذي أصدر "مدينة الرياح" سنة 1996 ورواية "بحج الفجار" 2005³.

¹ صلاح الدين معاطي، الخيال العلمي بين العلم والخرافة، ص132.

² سعاد عريوة، مكونات السرد وخصائصها في رواية الخيال العلمي العربية المعاصرة رواية اعشقتني لنساء الشعلان أنموذجاً، ص63، 64.

³ شعيب حليفي، الرواية والخيال العلمي، ص50.

الفصل الأول: ————— أدب الخيال العلمي: المفهوم النشأة والتطور

ومنه نخلص إلى أنّ أدب الخيال العلمي في الدول العربية كان يختلف من دولة إلى أخرى، فرغم القلة والندرة في كتابته وكتّابه المتخصّصين إلّا أنّ تلك الكتابات أفرزت عن أسماء وروايات استطاعت أن تكتب اسمها بأحرف من ذهب وتصل إلى العالمية لتزاحم كُتاب العالم الغربي في مجال أدب الخيال العلمي.

الفصل الثاني

الخيال والتخييل في رواية

(عودة إلى غرناطة عبر ساجيتوروس)

- أولاً: خيالية الحدث واختراق الزمن
- ثانياً: غرناطة الخيال والتاريخ
- ثالثاً: الأحداث التاريخية من خلال الرواية
- رابعاً: دراسة أبعاد الأعلام والشخصيات التاريخية
- خامساً: السفر عبر الزمن كآلية من آليات الرواية التاريخية
- سادساً: الخيال العلمي كآلية لإعادة كتابة التاريخ

الفصل الثاني: ————— الخيال والتخييل في رواية (عودة إلى غرناطة عبر ساجيتوروس)

أولاً: خيالية الحدث واختراق الزمن:

يعتبر السّفر عبر الزمن تيمة ذات حضور كبير في إبداع أدباء الخيال العلمي، ولم يقتصر هذا الحضور على الجانب الخيالي في تحقّق هذا الطموح البشري فقد ساهمت جملة من الوقائع التي تترجم مجال تحقّق انفتاح الإنسان على الفضاء الخارجي مثل الوصول إلى القمر والمشي على سطحه ووضع الكثير من الأقمار الصناعية التي يستفيد منها الإنسان في حياته، وقد كانت أوّل رواية في السّاحة الأدبية الغربية تجسّد فكرة السّفر عبر الزمن للكاتب الإنجليزي هاربت جورج ويلز سنة 1895م حيث تحدّث فيها عن رجل سافر عبر آلة الزمن إلى المستقبل البعيد، وأنّه رأى المستقبل المظلم للبشرية، حيث بيّن من خلال طبقتي الفقراء والأغنياء ظهور جنسين من البشر، كلّ جنس له أحفاد لمن سبقوه، فبيّن أنّ أحفاد الأغنياء ليسوا سوى جنسا غيبيا يُدعى (الآيلو)، فهم ليسوا بحاجة إلى الذكاء وكذلك آباؤهم وأجدادهم، بينما الفقراء فما هم إلاّ جنس "همجي" لا علاقة لهم بالبشر يُدعون (المورولوك) يقطنون تحت الأرض يتّبعون طريق أجدادهم في العمل والكّد، كما أنّهم استغلّوا جنس الآيلو وجعلوه غذاء لهم، وهذا ما جعل هذا الجنس الضعيف يسترجع بعض كرامته.

فقد بيّن الروائي المفارقة والصراع الأزلي بين الأغنياء والفقراء حيث يعيش الأغنياء منعّمون رفقة أحفادهم، بينما يستمرّ بؤس الفقراء من الآباء والأجداد إلى الأحفاد. يمكننا القول أنّ فكرة العبور إلى زمن آخر وعدم تحقّقها إلى يومنا هذا يحولها إلى محرّك أساسي للتفكير العلمي والخيال العلمي بالدرجة الأولى.

ومن خلال رواية (عودة إلى غرناطة عبر ساجيتوروس) نجد فكرة الانتقال إلى عالم آخر، عالم الأجداد الغابر حيث كانت تراود سلمان دائماً، لكن كيف السبيل إلى ذلك؟. كانت المنحة التي حصل عليها سرير ابن عمّ سلمان نتيجة الأبحاث القيّمة التي قدّمها عن ساجيتوروس (التقب الأسود) وعن مميّزات هذا الأخير دافعا لصنع عبّارة الزمن، والتي ستكون حديث العصر: "لابدّ لي من الإقرار بداية ما كان للسّفر عبر الزمن إلى غرناطة

الفصل الثاني: الخيال والتخييل في رواية (عودة إلى غرناطة عبر ساجيتوروس)

بني الأحمر أن يتحقق لولا منحة هيئة الأمم الأوروبية ولولا اكتشاف المهندس سرير مستجدات في غاية الأهمية عن ساجيتوروس...¹.

"وقد كانت هذه المنحة السخية دافعا لسرير كي يعجل تصميم عبارة الزمن...² يشير إلى أنه لا يمكن القيام بهذا الأمر العلمي إلا بمساعدة الغرب.

إذن كانت المنحة السخية من طرف الغرب عاملا مشجعا في صنع عبارة الزمن، التي سينتقل من خلالها سلمان إلى غرناطة، فقد كان يتوق إلى تلك اللحظة التي يتمكن فيها من العودة إلى الماضي، عالم الصفاء، عالم الأجداد المليء بالعبق والعلم والبطولات. وقد كان المهندس سرير منكبًا على تصميمها منذ سنين تقريبا "... شرع في سوغ نماذجها الأولية منذ سنتين على وجه التقريب"³.

ومن أهم المحفزات لهذه الرحلة هو ما اكتشفه المهندس سرير من معلومات هامة عن الثقب الأسود ساجيتوروس الذي كان يختلف عن باقي الثقوب الأخرى من حيث انفراده ببعض المميزات الخاصة التي جعلت منه محط الأنظار. "ولولا اكتشاف المهندس سرير مستجدات في غاية الأهمية عن ساجيتوروس، فهو وإن كان يفوق حجم الشمس فقد اتضح لابن العم أنه هادئ وخامد مقارنة بباقي الثقوب السوداء..."⁴.

اجتمعت أسباب كثيرة وعديدة لصنع عبارة الزمن، فمن الشوق والرغبة التي كانت تعترى سلمان، إلى منحة هيئة الأمم الأوروبية، إلى هدوء الثقب الأسود ساجيتوروس بدأت معالم الرحلة تتحدد، وبدأ سلمان يستعد للحدث الكبير الذي سيحققه رغم القلق والخوف الذي كان يملكه من أن يحدث عطب بالعبارة يودي بحياته، أو أن يتعرض للاعتداء من طرف قرصان الفضاء، لكن سرير كان دائما يهدئ من روعه، ويشجعه على

¹ خالد اليعبودي، عودة إلى غرناطة عبر ساجيتوروس، منشورات دار ما بعد الحداثة، ط1، 2010، ص20.

² المصدر نفسه، ص20.

³ المصدر نفسه، ص20.

⁴ المصدر نفسه، ص20.

الفصل الثاني: الخيال والتخييل في رواية (عودة إلى غرناطة عبر ساجيتوروس)

ترك مثل هذه الهواجس والتفكير فقط بما سيحقّقه من إنجازات عظيمة سيشهد التاريخ عليها.

وقد تمحورت فكرة الرواية حول سفر سلمان الفاسي إلى غرناطة بني الأحمر من خلال عبارة الزمن، وذلك لتخليص ابن الخطيب من سجنه، وكذلك تخليص أفكار ابن خلدون من الشوائب التي علقت بها، فتسنى له ذلك وتحققت رغبته بمجالسة شيخ المؤرخين والاستفادة من علمه الغزير، بالإضافة إلى حضوره المجالس السلطانية وإثرائها بما في جعبته من علوم الفلك إثر انتحاله شخصية المنجم، كما آلامه ما يحدث مع السلطان وحاشيته من مؤامرات دنيئة تؤدي بحياة أفراد أبرياء إلى السجون والتكيل بهم، بالإضافة إلى تمكّن سلمان من الاطلاع على حياة الناس في الأرباض المحيطة بغرناطة وما يعانونه من فقر مُدقع، ورأى المفارقة بين حياة الفقراء والحياة في قصور السلاطين.

ثانياً - غرناطة الخيال والتاريخ:

يعتبر التاريخ أحد الشواهد على الحضارات السابقة، والبطولات والأمجاد التي حقّقها الأولون، فرفعوا بها مجد أمة لازلنا نلهج بذكرها بعد انقضاء قرون عديدة، كما صورّ المجازر الرهيبة التي تعرضت لها البشرية على مرّ العصور؛ لهذا فهو يكتسي من الأهمية ما ليس بمكان.

وقد اهتمّ به الروائيون في العصر الحديث بإدخاله كجزئية جمالية في الرواية ممّا جعلها تكتسب الطابع التاريخي الفني.

1- مفهوم التاريخ:

التاريخ هو: مجموعة الأحداث والوقائع الإنسانية التي مضت تاركة بصماتها وأثرها في الحاضر والمستقبل، والتي تسهم في تشكيل السلوك الإنساني عامة والفعل

الفصل الثاني: الخيال والتخييل في رواية (عودة إلى غرناطة عبر ساجيتوروس)

الإبداعي خاصة الأدب، ولهذا فالأعمال الأدبية تتطوي على طابع تاريخي، وتمتلك القدرة على التصوير الجوهرى لا العارض أو المؤقت.¹

التاريخ عبارة عن حوادث حصلت في الماضي مخلّفة آثارها في الزمن الذي نعيشه وفي المستقبل الذي ننتظره، بفعل التأثير الذي يحدثه في تصرفات الأشخاص، فالماضي بالنسبة للبعض شيء مقدّس خاصة حينما يتعلّق بأمر الدين، وما حصل للأمة في الأيام الخالية، كما أنه يزيد من المعرفة، وينقل لنا تفاصيل الحياة المتغيرة. وكلمة التاريخ من حيث الاصطلاح تعني الزمن والحقب.

ولم يستخدم لأول مرة إلا منذ أن أدخل عمر بن الخطاب التقويم الهجري، فقد ورد هذا الاصطلاح في برديه يرجع تاريخها إلى سنة 22 هـ مما يدل على أن الكلمة كانت معروفة في ذلك الحين.²

استخدمت كلمة تأريخ منذ ظهور التقويم الهجري، بمعنى أنها استخدمت في عصر الصحابة وأصبحت متداولة، بالرغم من أنها كانت موجودة من قبل ولم تستعمل. وقد اهتم ابن خلدون (ت 809) في مقدمته بفن التاريخ فأشار إلى أنه في الظاهر لا يعدو أن يكون مجرد أخبار عن الأيام والدول القديمة والأمم الماضية، ولكنه في الباطن نظر وتحقيق، وتعليل دقيق للكائنات ومبادئها وهو يطلعنا على أسباب الوقائع والأحداث وكيفية حدوثها.³

ويرى ابن خلدون أنّ التاريخ في حقيقته الظاهرية يبدو مجرد أخبار عن الأيام السالفة، لكنه في الباطن نظر دقيق لكل ما هو ماضي بعين التدقيق والتفحص، كما أنه يطلعنا على كيفية تجلي الحوادث وأسبابها ونتائجها.

¹ ليلي يونسى، تجليات التاريخ في رواية حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر لعز الدين جلاجي، رسالة ماجستير، إشراف: روفيا بوغنون، كلية الأدب واللغات والعلوم الإجتماعية، جامعة العربي بن مهدي، أم البواقي، 2012، ص20.

² عبد العزيز سالم، التاريخ والمؤرخون العرب، مؤسّسة شباب الجامعة، الإسكندرية، (د.ط.)، 2008، ص18-19

³ المرجع نفسه، ص33

2- مفهوم الرواية التاريخية:

أول ما برزت الرواية التاريخية بالمفهوم الاصطلاحي كانت عند الغرب مع ظهور الرومانسية التي أحي بها أصحابها روح البطولات السابقة. فهي منذ نشأتها الأولى كانت ملازمة للتاريخ، وإن لم نبالغ كان محكها الأساسي في أي خطوة يخطوها، حيث يستتق الأول الماضي ويسائل الثاني الحاضر وينتهيان معا في عبرة حكائية.

والرواية التاريخية يتجاذبها هاجسان، أحدهما الأمانة التاريخية التي تفرض على الروائي أن لا يجافي ما تواضعت عليه المصادر التاريخية، والآخر مقتضيات الفن الروائي.¹

فالروائي وإن وظّف التاريخ في روايته فهو ليس كالمؤرخ ينقل التفاصيل كما هي بكلّ دقة علمية وموضوعية، وإنما يدخل فنياته على الأحداث التاريخية فيحوّرها كيفما يشاء، لأن الإبداع يتطلب الخيال الذي يعدّ أحد ركائزه.

3- مملكة غرناطة (630-897هـ/1232-1492م)

كانت مملكة غرناطة هيّ البقية الباقية من ملك العرب في إسبانيا، بعد أن استولى النصارى على معظم مدن الأندلس، وتمزقت دولهم فلم يبق للمسلمين إلا هذه الرقعة في الجنوب الشرقي من شبه الجزيرة، تلك المملكة التي أمكنها أن تحافظ على حدودها قرابة القرنين ونصف من الزمان بفضل عدّة عوامل داخلية وخارجية. تقع غرناطة بين جبال سييرا نيفادا (جبل الثلج) وساحل البحر المتوسط اعتبارا من المرية وحتى جبل طارق، ولقد لجأ إلى هذه المملكة كافة الجنود الذين فروا من المدن الأندلسية التي سقطت في أيدي الإسبان، حيث وهبوا أنفسهم وسيوفهم لغرناطة، فكانوا حقا حماة هذه المملكة الأخيرة.²

¹ ليلي يونسي، تحليلات التاريخ في رواية حوبه ورحلة البحث المهدي عن المنتظر لعز الدين جلاجي، ص 22

² محمد كمال شبانة، الأندلس دراسة تاريخية حضارية، دار العالم العربي، ط1، 1429هـ، 2008م، ص 163

الفصل الثاني: الخيال والتخييل في رواية (عودة إلى غرناطة عبر ساجيتوروس)

كانت مملكة غرناطة هي وبعض الممالك المحيطة بها فقط من نجت من قبضة النصارى، وحافظت على سلامتها مدة قرنين ونصف بفضل بعض الحكام الذين كانت لديهم الحنكة السياسية في مسايرة النصارى وتجنب شرهم، وذلك بدفع الإتاوات والمحافظة على نظام الصلح القائم بينهم.

أ- مؤسس غرناطة:

هو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن نصر، الملقب بابن الأحمر، ويرجع نسب هذه الأسرة إلى قبيلة الخزرج من أنصار المدينة، وكان هذا الرجل مثالا للزعامة والقيادة، والكفاية الإدارية والحربية إذ أخذ على عاتقه أن يقصر جهوده على المحافظة على مقاطعة غرناطة وأحوازها لا أكثر، فلم يمتد به الطموح إلى استرداد بعض المدن التي سقطت بأيدي النصارى؛ وذلك لأن موارد الدولة وإمكانياتها لا تسمح بمثل ذلك.¹

فأبو عبد الله بعد أن أسس غرناطة تعهد بالمحافظة عليها وصونها؛ وذلك بتحسين قلاعها، وتزويدها بالإمدادات الحربية، وقد شهدت غرناطة في عصره طفرة علمية لم تشهدها من قبل بفضل المهاجرين إليها وما حملوه من علوم وصناعات جعلت منها حاضرة علمية وصناعية بامتياز.

ب- مظاهر الحضارة في مملكة غرناطة:

لقد أخذ ملوك بني نصر على عاتقهم أن يجعلوا من هذه المملكة نموذجا للفن والحضارة وميدانا للعلوم والآداب، على غرار ما كان عليه الحال في قرطبة أيام الأمويين، وخاصة في عهد الحكم المستنصر ومن قبله عبد الرحمن الناصر فقد أفسح بنو نصر المجال أمام المهندسين والفنيين وأصحاب الحرف والصناعات المختلفة، نحو حركة عمرانية في أنحاء شتى للمملكة.

¹ محمد كمال شبانة، الأندلس دراسة تاريخية حضارية، ص: 163-164.

الفصل الثاني: الخيال والتخييل في رواية (عودة إلى غرناطة عبر ساجيتوروس)

كما بلغت العمارة أوجّها في أرجاء الأندلس خاصّة على عهد كل من السلطان يوسف الأوّل أبي الحجاج سابع ملوك بني نصر، وابنه السلطان الغني بالله محمد الخامس.¹ إذن فقد قرّر ملوك بني نصر أن يجعلوا من غرناطة نموذجا في جميع المجالات من فن وحضارة ومنبعا للعلوم والآداب مثلما كان الحال أيام قرطبة، فقط أنشأوا مجموعة من المعالم الحضارية مثل قصر الحمراء الذي لا يزال شاهدا إلى يومنا هذا على حضارة الأسلاف، كما تطوّر فن العمارة تطورا كبيرا خاصة أيام الغني بالله وأبيه.

وقد عمر بلاط كل من هذين الملكين بخيرة رجال العلم والفكر والأدب، كما امتاز عهدهما بخيرة رجال الإدارة والسياسة، بفضل أولئك الوزراء الذين تولوا مباشرة شؤون الدولة أمثال الرئيس أبي الحسن علي بن الجياب، ولسان الدين بن الخطيب، وقاضي الجماعة أبي الحسن علي النباهي، فقد قام الوزير ابن الخطيب -على سبيل المثال- بسفارات خاصة إلى الملوك المعاصرين في كل من المغرب وأفريقية وإسبانيا، وقد نجحت سفارته هذه نجاحا منقطع النظير بحيث حققت أهدافها المنشودة، لا سيما تلك السفارات التي تمت بين غرناطة وفاس تدعيما لروابط الأخوة والصداقة وتأكيد للعلاقات السياسية والحربية التي كانت وثيقة بين الدولتين.²

وقد شهد عصر الغني بالله وأبيه ظهور خيرة رجال الإدارة والسياسة أمثال لسان الدين ابن الخطيب الذي كان له الدور الكبير في هذه المملكة خاصة في توحيد الصفوف بين غرناطة والمغرب وأفريقية وقد نجحت مساعيه نجاحا فائقا في ربط أواصر التعاون والمحبة والأخوة بين غرناطة والمغرب.

ج- بداية النهاية:

لكن نرى للأسف أنّ من توالوا على حكم الدولة بعد يوسف الأوّل ثمّ ابنه محمد الخامس من ملوك بني نصر لم يكونوا في مستوى واقعهم السياسي والإداري، إذ لم تكن

¹ محمد كمال شبانة، الأندلس دراسة تاريخية حضارية، ص: 166.

² المرجع نفسه، ص: 166.

الفصل الثاني: الخيال والتخييل في رواية (عودة إلى غرناطة عبر ساجيتوروس)

لهم قوة أسلافهم، كما أنهم لم يلقوا بالا للخطر المحقق بهم من طرف النصارى، فقد عاشوا في جوّ من النزف والملذات، ونشبت بينهم الخلافات الأسرية على السلطنة الأمر الذي أذن بنهاية دولتهم بل بنهاية الإسلام والمسلمين في هذا القطر.¹

وقد توالى على غرناطة حكام لم تكن لهم الخبرة والحنكة السياسية مثل سابقهم فهم لم يهتموا بالخطر الصليبي المحيط بهم من طرف النصارى، بل عاشوا في تتبع الملذات والتفنن في الترف وفي تزيين القصور، وقد كانت بينهم خلافات أسرية حادة على الحكم الأمر الذي جعلهم لقمة سائغة في أيدي عدوهم، وكذلك كان من سوء الطالع لنهاية هذه الأسرة ونهاية الحكم الإسلامي في الأندلس أن مملكتي النصارى يومئذ (قشتالة وأراجون) قد اتحدتا في مملكة واحدة هي مملكة قشتالة، فقد تزوج فرناند ملك أراجون بإيزابيلا ملكة قشتالة، ثم عملا سويا على انتهاز فرصة الفرقة التي دبّت بين صفوف أسرة بني نصر، ذلك الخلاف الذي كان له الدور الأساسي في ضياع الأندلس نهائياً.²

وهكذا بعد أن اتحد النصارى في مملكة واحدة استغلوا فرصة الفرقة التي كانت بين صفوف أسرة بني نصر وتلك الخلافات التي كانت سببا في سقوط الأندلس. فبعد فقدان غرناطة لمظاهر قوتها، أسرة حاكمة تنازعتها الأهواء، قلاع وحصون دفاعية سقطت في يد النصارى، حليف بالعدوة المغربية يموج في فتن وصراعات داخلية، لم يبق أمام المملكة الصامدة سوى أن تعدّ أيامها خاصة بعد أن وقع الزّغل معاهدة صلح مع الإسبان مقابل امتيازات معيّنة له ولأسرته ومبالغ مالية، وسافر إلى المغرب لكنه استقبل بالنتديد والاستتكار وجرد من ماله، ثم انتقل إلى وهران ومنها إلى تلمسان أين بقي يجر أذيال الخيبة والندم حتى وفاته.³

¹ محمد كمال شبانة، الأندلس دراسة تاريخية حضارية، ص 166-167.

² المرجع نفسه، ص 167.

³ جمال يحيوي سقوط غرناطة ومأساة الأندلسيين (1492-1610م)، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ط)، 2004، ص 36.

الفصل الثاني: ————— الخيال والتخييل في رواية (عودة إلى غرناطة عبر ساجيتوروس)

فبعد الصراعات الداخلية بين الأبناء سقطت هيبة غرناطة، كما فقدت حصونها وضعفت إمداداتها من العدة المغربية التي كانت غارقة في الفتن والانقسامات، وخاصة بعد استسلام الزّعل مقابل امتيازات له ولعائلته، هذه الأسباب وأخرى أدّت إلى نكبة غرناطة وسقوطها في يد النصارى. وخرج منها أبو عبد الله الصغير صاغرا هذه المرّة، وأمّه السيّدة عائشة الحرّة تمسح دموعه قائلة: "ابك مثل النساء ملكا مضاعا لم تحافظ عليه مثل الرجال"¹

ثالثا- الأحداث التاريخية من خلال الرواية:

1- قدوم ابن خلدون إلى الأندلس (لتخليص خليله لسان الدين ابن الخطيب)

كان قدوم ابن خلدون إلى الأندلس بعد سماعه بسجن خليله ابن الخطيب، أملا أن يجد منفذا ل فك سجن صديقه، فلاقى اعتراضا شديدا من طرف الحكام الذين كان في ضيافتهم، لكنهم في الأخير وافقوا على سفره كارهين لذلك.

ولما كان ما قصصته من تنكّر السلطان أبي العباس صاحب فاس والذهاب مع الأمير عبد الرحمن ثم الرجوع عنه إلى ونزمار بن عريف، طلبا لوسيلته في انصرافي إلى الأندلس بقصد القرار، والانقباض، والعكوف على قراءة العلم، فتم ذلك ووقع الإسعاف به بعد الامتناع وأجزت إلى الأندلس في ربيع سنة ست وسبعين، ولقيني السلطان بالبرّ والكرامة وحسن النزول على عادته².

فبعد امتناع حكام بني مرين بالسماح لابن خلدون، ثم وافقوا أخيرا على سفره وتم له ذلك وقدم إلى الأندلس تحذوه الآمال في تخليص صديقه من الأغلال.

"وكنت لقيت بجبل الفتح كاتب السلطان ابن الأحمر بعد ابن الخطيب الفقيه أبا عبد الله بن زمرك، ذاهبا إلى فاس في غرض التهئة، وأجاز إلى سبتة في أسطوله، وأوصيته بإجازة أهلي وولدي إلى غرناطة، فلما وصل إلى فاس وتحدّث مع أهل الدولة في إجازتهم

¹ جمال يحيوي سقوط غرناطة ومأساة الأندلسيين (1492-1610م)، ص38.

² محمد بن تاويت الطنجي، رحلة ابن خلدون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2005م، ص186.

الفصل الثاني: الخيال والتخييل في رواية (عودة إلى غرناطة عبر ساجيتوروس)

تتكرروا لذلك وساءهم استقرارهم بالأندلس، واتّهموا أنّي ربّما أحمل السلطان ابن الأحمر على الميل إلى الأمير عبد الرحمن الذي اتهموني بملا بسته، ومنعوا أهلي من اللحاق بي وخاطبوا السلطان ابن الأحمر في أن يرجعني إليهم، فأبى من ذلك فطلبوا منه أن يجيزني إلى عدوة تلمسان¹.

فابن خلدون بارتحاله إلى الأندلس أحدث نقمة على نفسه فقد اتهم بولائه للأمير عبد الرحمن، وخوفهم من أن يجعل السلطان ابن الأحمر يميل لهذا الأخير، فقد منعوا عائلته من اللحاق به.

وكان ابن مسعود بن ماساي قد أذنوا له باللحاق بالأندلس، فحملوه على مشافهة السلطان بذلك وأبدو له أنّي كنت ساعيا في خلاص ابن الخطيب، وكانوا قد اعتقلوه لأول استيلائهم على البلد الجديد وظفرهم به وبعث إليّ ابن الخطيب في محبسه مستصرخا بي، ومتوسلا².

مع أنّ ابن خلدون كان ساعيا لتخليص ابن الخطيب لكن لم يبد ذلك للسلطان، غير أنّ أعداءه حاولوا إثارة الفتن بينه وبين السلطان.

إذن فطلب الارتحال من طرف ابن خلدون لقراءة العلم أو الحجّ أو أي شيء آخر لم تكن سوى حجة اتخذها ليتوجّه إلى الأندلس لتخليص خليله ابن الخطيب من أسره. "... فكلّ عالم أراد الخلاص من أسر البلاط يتذرّع بعزمه استيفاء الركن الخامس من أركان الإسلام، لكن من ذا يستكف عن زيارة المقام الشريف؟"³.

¹ محمد بن تاويت الطنجي، رحلة ابن خلدون، ص 186

² المرجع نفسه، ص 187، 186.

³ خالد اليعودي، عودة إلى غرناطة عبر ساجيتوروس، ص 17.

الفصل الثاني: ————— الخيال والتخييل في رواية (عودة إلى غرناطة عبر ساجيتوروس)

"لا بدّ من بذل الجهود في سبيل خلاص ابن الخطيب قبل الارتحال إلى مكة المكرمة إن شاء العليّ القدير...¹. لأنّ" لسان الدين صادق كلّ الصدق في رغبته بالابتعاد عن أجواء البلاطات والخلاص من فآخها المميّنة لكن الأعداء كانوا له بالمرصاد...².

فقد "عرفته طوال هذه السنين طيّب القلب والسريرة يقضي معظم يومه في تدبير شؤون الدولة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكرات...³

كان قدوم ابن خلدون من أجل تخليص ابن الخطيب والتوسّط لدى حاكم غرناطة بإخلاء سبيله لأنّه يرى أنّه بريء من كل الاتهامات الموجهة إليه، فذلك لم يكن سوى بتحريض من أعدائه من رجال الحاشية.

"لقد اهتدى داهية البلاد النصري إلى أنجع وسيلة للنيل من أستاذه الذي غدا غريمه الأوحده، فأوعز للسلطان النصري بأهمية التآمر على الحكم المريني...⁴

يرى ابن خلدون أنّ الأعداء من الحاشية هم من قاموا بتحريض السلطان على ابن الخطيب حسدا منهم للمكانة التي كان يعتليها في الدولة وحبّ السلطان له والاعتماد عليه في كلّ الأمور الخاصة بالمملكة، ومن الأسباب الأخرى أيضا التي أتت بابن خلدون إلى الأندلس هو تتسّم آثار الأجداد والابتعاد عن الصعوبات التي كان يلاقها مع شيوخ القبائل والأعراب.

2- فشل مساعي ابن خلدون في تخليص ابن الخطيب:

"قال الشيخ تهيئة للولوج في موضوع خلاص صاحبه: أيّها السلطان الأمجد نصير العلم والأدب... تعلمون خير العلم مكانة لسان الدين في الأدب والترسلّ في الدواوين

¹ خالد اليعبودي، عودة إلى غرناطة عبر ساجيتوروس، ص17

² المصدر نفسه، ص124

³ المصدر نفسه، ص124.

⁴ المصدر نفسه، ص125.

الفصل الثاني: الخيال والتخييل في رواية (عودة إلى غرناطة عبر ساجيتوروس)

وكلكم يقين بغيره وزيركم على العروبة والإسلام ثم شرع الشيخ يعدّد مناقب خليه ويستعطف الغني في شأن إطلاق سراحه".¹

بدأ الشيخ بالتمهيد لموضوع خليه باستعطف الغني بالله ليرقّ قلبه لابن الخطيب" يا ليتكم تطلقون ابن الخطيب من الأسر، وتفكّوا أغلاله... لأستعين بحنكته..."²

ويحاول الشيخ في كل مرة أن يجد الفرصة المناسبة ليذكر السلطان بقضية ابن الخطيب، "عاد الشيخ لعرض غرضه من هذه السفارة فقال بنبرة مشفوعة بالتمني: وزيركم يدعوا لكم بالنصر والتمكين على سائر الأعداء..."³. لكن السلطان اكتفى بمجرد الشكر، وبعد جدال مرير مع السلطان وحاشيته" حسب الشيخ أن الزوبعة هدأت: وقال مبتهجا: إذن ستطلقون صراح وزيرنا لسان الدين يا عظيم الهمة...؟"⁴.

لكن حاشية السلطان كالعادة تقف عائقا في إظهار براءة ابن الخطيب ممّا أثار غضب ابن خلدون. " فتجهمّ الشيخ وهو يقول: أشم رائحة دسيسة لأنّي أحمل لكم كتابا من لدنه..."⁵

لقد حاول ابن خلدون بكل الطرق إلانة قلب الغني بالله لكن في كلّ مرّة كان الغني بالله يتماطل في اتخاذ قرار نهائي في هذا الموضوع.

فأورد قائلا: "فخاطبت في شأنه أهل الدولة وعوّلت فيه منهم على ونزمار، وابن ماساي فلم تنجح تلك السعاية وقتل ابن الخطيب في محبسه - فلما قدم ابن ماساي على السلطان ابن الأحمر وقد أغروه بي - فألقى إلى السلطان ما كان مني في شأن ابن الخطيب فاستوحش لذلك وأسعفهم بإجازتي إلى العدو، فأوعز أبي حمو بمقامي بهنين ثم

¹ خالد اليعبودي، عودة إلى غرناطة عبر ساجيتوروس، ص 177.

² المصدر نفسه، ص 279.

³ المصدر نفسه، ص 217.

⁴ المصدر نفسه، ص: 219.

⁵ المصدر نفسه، ص: 221.

الفصل الثاني: ————— الخيال والتخييل في رواية (عودة إلى غرناطة عبر ساجيتوروس)

وفد عليه محمد بن عريف فعذله في شأني فبعث عني إلى تلمسان، واستقررت بها بالعباد، ولحق بي أهلي وولدي من فاس وأقاموا معي، وذلك في عيد الفطر سنة ست وسبعين.¹ وهكذا فشلت مساعي ابن خلدون في تخليص خليله لسان الدين ابن الخطيب "بما أن مهمتنا فشلت فشلا ذريعا، فشيخنا لم يتلق وعدا بإطلاق سراح خليله؟"² فقرّر الارتحال عن غرناطة واعتزال السياسة ورجالاتها، وقلبه مليء بالحزن والأسى لأنه لم يتمكن من إقناع ذلك الملك الذي يسير برأي بطانته الفاسدة.

3- نشوب الخلافات في عهد الغني بالله ومن بعده:

يعتبر عصر بني الأحمر من أسوء العصور التي مرّت على غرناطة، لما شهده هذا العصر من الفتن والانقلابات، صحيح أنّ بعض السلاطين تعهّدوا بصيانة غرناطة، فحاولوا جمع كلمة المسلمين والنهوض بالبلاد التي كانت محاصرة من طرف النصارى، لكن كثرة الفتن الداخلية أتت على الأخضر واليابس، وجعلت النصارى المستفيد الأوّل والأخير من هذا الصراع الذي دام طويلا، تمّ بمقتضاه تسليم البلاد، وفرار السلاطين إلى المغرب، لكن تبقى بطولات بعض الرجال مسجّلة في التاريخ كما هو الحال مع الأمير موسى ابن أبي الغسان فإنه قال كلمة بقيت على مرّ العصور "فو الله إنّ الموت الأحمر هو أهون ما نتوقّع، وإنّما نحن مستقبلون أمرا أيسره اكتساح الأوطان، وفضيحة العيال، وانتهاب الأموال، وقلب المساجد وتدمير المنازل...."³.

لقد دام عهد السلطان الغني بالله حتى عام 1391م وإن كان قد تخلّل عهده انقلاب تزعمه أخوه إسماعيل، لكنه تمكّن من العودة للعرش في النهاية، ثمّ تولى بعده سلاطين ضعفاء وتوالى الأحداث بعد إذن وقبيل سقوط غرناطة نشبت الفتن والدسائس بين أفراد

¹ محمد بن تاويت الطنجي، رحلة ابن خلدون، ص 187.

² خالد اليعبودي، عودة إلى غرناطة عبر ساجيتوروس، ص 289

³ عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط2، 1396هـ-1976،

الفصل الثاني: الخيال والتخييل في رواية (عودة إلى غرناطة عبر ساجيتوروس)

الأسرة النصرية، واندلعت الثورات تأييدا لأحدهم على الآخر، وكانت آخر حلقة في سلسلة هذه الفتن، ذلك الصّراع الرّهيب بين أبي عبد الله محمد بن سعد المعروف بالزّغل، وبين أخيه السلطان أبي عبد الله بن محمد بن أبي الحسن الذي كان من نتيجته الحتمية سقوط غرناطة.¹

وقد ظهرت خلافات عديدة بين أفراد الأسرة الحاكمة، وكذلك بين السكان والسلطة وذلك لأسباب عديدة منها كثرة الضرائب التي أثقلت كاهل السكان الذين كان أغلبهم يعاني الفقر المدقع خاصة سكان الأرباض، وهم يرون السلطان (الغني بالله) يتفاخر بإنفاق الأموال في تزيين القصور، وفي جلب الخدم من أصقاع المعمورة وهذا ما جعل "أهل غرناطة يتذمرون من كثرة المكوسات المفروضة عليهم..."².

"فيتساءل السلطان مستغربا: ماذا يريد هؤلاء الرّعاة وقد وفّرنا لهم جميع لوازم الحياة في إمارة محاصرة..."³. فيردّ رئيس الشرطة "من بينهم يا مولاي حمقى يطالبون بتخفيف المغارم... وإن استمرّ الحال على ما هو عليه اشتعلت نار الفتنة بسائر حواضر إمارتنا..."⁴.

كان الجدل في القصر مع السلطان وحاشيته على أوجه، فالسلطان يتوعّد ويهدّد رؤوس الفتنة والحاشية توغر صدره بما تدسّسه من سموم تجاه أحد المتصوّفة المدعو موحا الزغبى، فقد قرّر السلطان تشديد الحراسة عليه قائلا: "عليك بتشديد الحراسة على هذا المشعوذ... فإذا ازداد خطره حاصرناه وقطعنا دابر الفتنة..."⁵.

وبالفعل تمّ التخلّص من المتصوّف موحا الزغبى بقتله من طرف رجال الشرطة.

¹ محمد كمال شبانة، الأندلس دراسة تاريخية حضارية، ص167.

² خالد اليعبودي، عودة إلى غرناطة عبر ساجيتوروس، ص185

³ المصدر نفسه، ص185.

⁴ المصدر نفسه، ص186.

⁵ المصدر نفسه، ص190.

رابعاً: دراسة أبعاد الأعلام والشخصيات التاريخية:

تعتبر الشخصية من أهمّ العناصر التي يقوم عليها السرد الروائي، وهي إحدى البنى الفنية التي تختص بها النصوص الإبداعية، فهي عبارة عن مجموعة من الصفات والخصائص الفيزيولوجية والنفسية والاجتماعية، لذلك تعتبر الشخصية إضافة إلى الزمان والمكان والحدث من أهمّ العناصر التي تبنى عليها الرواية.

إنّ التحول الاجتماعي في القرن التاسع عشر هو الذي أبرز الشخصية الروائية ومنحها وجودها المستقل عن الحدث الذي صار بدوره تابعا لها، ووظيفته إمداد القارئ بمزيد من المعرفة عنها ويعود ذلك إلى صعود قيمة الفرد في المجتمع ورغبته في السيادة، وهذا ما يفسّر كون الشخصية لدى الروائيين تختزل مميّزات الطبقة الاجتماعية، وأصبحت كلّ عناصر السرد تعمل على إضاءة الشخصية وإعطائها الحد الأقصى من البروز وفرض وجودها في جميع الأوضاع، ويرى بعض النقاد أن ظهور أهمية الشخصية في القرنين الثامن والتاسع عشر يعود إلى ظهور الحركة الرومانسية، الحركة التي اهتمت بالفرد اهتماما كبيرا وسلّطت الأضواء على الذات الإنسانية، الأمر الذي جعل الشخصية تفوق غيرها من عناصر القصة.¹

فإذا كان النقد الشكلاني، ممثلاً في أبحاث فلاديمير بروب على الخصوص، والسيمائية السردية، ممثلة في أبحاث غريماس، قد حاولا معا تحديد هوية الشخصية في الحكي بشكل عام من خلال مجموع أفعالها، دون صرف النظر عن العلاقة بينها، وبين مجموع الشخصيات الأخرى التي يحتوي عليها النص، فإنّ هذه الشخصية قابلة لأن تحدّد من خلال سماتها، ومظهرها الخارجي. ولم تغفل الأبحاث الشكلانية والدلالية هذا الجانب وإن كنا نلاحظ أنّها توسّعت في الجانب الأوّل، أي جانب الوظائف التي تقوم بها

¹ عصام عساقلة، بناء الشخصيات في روايات الخيال العلمي في الأدب العربي، ص: 35.

الفصل الثاني: ————— الخيال والتخييل في رواية (عودة إلى غرناطة عبر ساجيتوروس)

الشخصيات في الحكى، ولقد كان التصور التقليدي للشخصية يعتمد أساسا على الصفات مما جعله يخلط كثيرا بين الشخصية الحكائية والشخصية في الواقع العياني.¹

أبعاد الشخصية في رواية الخيال العلمي عودة إلى غرناطة عبر ساجيتوروس:

1- البعد الفيزيولوجي:

تعتمد عملية بناء الشخصيات داخل العمل الروائي على التخييل؛ لذلك فإنّ الروائي فيها يشبه الرسّام الذي يحدّد ملامح شخص ما بأنامله؛ ليعكس لنا صورة جسمانية لشخصية ما من حيث الطول، والقصر، النحافة، البدانة، لون البشرة، صفات جسمية خاصة مثل الإعاقة، والعاهات، ما يجعل القارئ قادرا على تمثّل شخصيات الرواية أمامه.²

وفي رواية الخيال العلمي ستحدّد لنا الشخصيات بأبعاد فيزيولوجية مختلفة، فالاختلاف في الزمان والمكان يؤدي إلى اختلاف في الشخصية، ومن خلال هذا كلّ سنحدّد الأبعاد الفيزيولوجية لشخصيات الرواية.

ويمكننا إعطاء أوصاف لكل شخصية على حدى من خلال دورها في الرواية.

شخصية سلمان الفاسي:

بالرغم من أنّ سلمان يمثّل شخصية رئيسية في الرواية لأنه يمثّل دورين دور سلمان الفاسي الرجل الذي كانت لديه طموحات كبيرة يؤدّ تحقيقها، بأن يخرج من عالمه الذي لم يعجبه يوما ويذهب إلى عالم آخر عالم الأجداد الغابر، ودور السارد الذي يقوم بوصف الشخصيات وتتبع أحداث الرواية من البداية إلى النهاية، ورغم ذلك فالروائي لم يضع مواصفات فيزيولوجية تحدّد لنا هيئته من خلال الرواية بل اكتفى فقط بجعله واصفا

¹ حميد لحميداني، بنية النص السردى من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1991، ص50.

² سعاد عريوة، مكونات السرد وخصائصها في رواية الخيال العلمي العربية المعاصرة رواية اعشقتني للنساء الشعلان أنموذجا، ص: 88-89.

الفصل الثاني: الخيال والتخييل في رواية (عودة إلى غرناطة عبر ساجيتوروس)

لشخصية أخرى كقوله "عما قريب سأحظى من جديد بإشراقه وجه نجلاتي، وببسمتها الصادرة من ثغرها العذب الذي يكشف عن نضاعة أسنانها".¹

لم ينل سلمان حظّه من الوصف لاعتباره كان ساردا هيمن على وصف معظم الشخصيات، كما أن الروائي لم يقدّم بالإسهاب في وصف شخصية سلمان الفاسي من الجانب الفيزيولوجي كي لا يحدّد لها أي خصوصية شكلية ويمكن أن نفسّر هذا الاختيار السردي للدلالة على الرّغبة الإنسانية المشتركة في العودة إلى التاريخ، فالتعامل مع الشخصية من دون محدّدات ومميّزات يجعلها تشبه أيّ شخصية أخرى. يمكن لكلمة فاسي أن تحدّد هوية وانتماء وبالتالي خصوصية ثقافية، لكن يبقى اللاتّحديد الشكلي مؤشرا على لا تحديد الطموح البشري.

شخصية نجلاء:

خطيبة سلمان، وهي طالبة جامعية تقطن بفاس، كانت رقيقة المشاعر، طيّبة تهفو لأن تكون زوجة لسلمان في أقرب فرصة، "فهي كالنّسيم بقامتها الرشيقة وخصرها الدقيق وقدميها الصغيرتين".²

كما ستتحدّد مواصفات نجلاء من خلال تخيل سلمان لها كلّما شعر بالوحدة حيث يقول: "تخيّلت نجلاء جالسة بجواري بهذا المقعد الشاغر بالعبارة بعطرها القوي يدغدغ مشاعري، أمسح بيميناي شعرها الغزير المتهدّل على كتفيها فنتبخر في عام من التّخيلات المتوهّجة، وتنتهي عليّ بعد مشاهدتها لهذه المباحج بالفضاء العلوي".³

وقد كانت نجلاء دائما حاضرة في تفكير سلمان فهيّ لم تغادر مخيلته طوال الرحلة كانت رمزا للجمال فقد جعلها السارد أسطورة: "فأيقظ جمالها كوامني، وحشّدت صورة

¹ خالد اليعبودي، عودة إلى غرناطة عبر ساجيتوروس، ص 294.

² المصدر نفسه، ص 29.

³ المصدر نفسه، ص 61.

الفصل الثاني: ————— الخيال والتخييل في رواية (عودة إلى غرناطة عبر ساجيتوروس)

جسدها اللدن فؤادي، ودفعني إلى التفكير في العودة فوراً من حيث أتيت...¹ ويستمر سلمان في وصف خليلته التي أصبحت هاجسا يلاحقه أينما كان فيردف قائلاً: "هل ستكتب لي العودة لأملّي النظر بصدري حسناي الممتلئ وخصرها النحيل وقوامها المتقن التركيب ورموشها الكثيفة المحيطة بعينيها العسليتين وشعرها الفاحم اللامع...² أتذكر حديثها معي بصوتها العذب كأنه مناجاة سماوية تسري بخذر في سائر جسدي...³ نالت نجلاء حظاً وفيراً من وصف السارد لها، وذلك لما كانت تتميز به من مواصفات جعلت سلمان يهيم بها، فصورتها لا تفارقه أبداً فقد كانت بمثابة الدافع والمحفز القوي الذي يجعله يواصل رحلته بسلام، وقد جاءت علاقة سلمان بنجلاء بمثابة الاستراحة والومضة العاطفية التي تستوقف القارئ وتخفف من حدة وتيرة الأحداث العلمية والقلق الذي يعترى شخصية سلمان، لذلك نجد الاستطراد والتدقيق في وصفها. إن شكل نجلاء لا يظهر إلّا من خلال شخصية سلمان وهو ما يكشف عن نزوع جمالي يختصر جمال حسناوات غرناطة ورقّتهنّ.

شخصية المهندس سرير:

رجل محب للعلم والبحث لم يكثر له أحد في بلده فقرّر الهجرة إلى فرانكفورت الألمانية، أين وجد العناية بأبحاثه لكنه ظلّ محباً لوطنه ومخلصاً لمن يعرفهم فهو: "يبدو لكلّ من يراه نحيلاً معتدلاً القامة، عريضة الجبين، يشعّ الذكاء من وجهه، شديد التواضع إلى حدّ الخجل، يمقت أضواء الإعلام، ولو كان غيره قام بهذا الإنجاز لأسرف في الغرور والتعالي".⁴ هو الآخر تمّ وصفه من طرف السارد فهو من قام بأبحاث حثيثة حول ساجيتوروس، وهو مصمم عبّارة الزمن التي قامت برحلة إلى غرناطة النصرية.

¹ خالد اليعودي، عودة إلى غرناطة عبر ساجيتوروس، ص: 65.

² المصدر نفسه، ص: 65.

³ المصدر نفسه، ص: 65.

⁴ المصدر نفسه، ص: 84-85.

شخصية ابن خلدون (شيخ المؤرخين)

إنه شخصية بارزة غنية عن كل تعريف، محبّ للعلم صاحب خصال حميدة، سياسي محنّك "صاحب فضل وهمّة عالية لا ينظر في وجهه من يحدثه، لحبته الأنيقة مخضبة بالحناء بشكل طفيف، ويطلّ من عمامته قليل من الشيب ينسدل على جبينه ويكسبه وقاراً، ملامح وجهه تكشف عن علامات الطيبة والاحترام، هادئ الصوت والحركات كان مسرفاً في التواضع إلى درجة أنّه جلب لنفسه الكثير من الهزء من قبل المستهزئين بالفضائل السامية".¹ فهذه المواصفات وإن دلّت على شيء فإنّها تدل على رجل سما بكبريائه، رجل وقور ذو علم، يمتلك من الفضائل ما يجعله محترماً أينما حل وارتحل، رغم تبجّح الحاقدين والناقمين منه.

وقد قدّم هذه الأوصاف الشخصية الأولى التي تمثّل دورين في نفس الوقت دور سلمان الفاسي ودور السارد، الذي كان يمثّل له ابن خلدون اللحم الذي لن تحقّقه إلّا المعجزة لذلك يقول: "برؤيته أشرقت شمس باطني وإن زاحت عني كلّ الهموم التي قاسيتها في سبيل الوصول إلى هذا المكان والمثول بين يديه".²

ويرد سلمان انشرح "صدري لما رحّب بي أيّما ترحاب بصوت ملائكي صادر من الأعماق وأجلسني بجواره...".³ وقد كان ابن خلدون يحمل من المواصفات ما يجعله "... نابه العقل بارع التحليل، عميق الفهم يستقصي أطراف الموضوع قبل الخوض في دقائقه، ويملك ناصية البحث في عوائص الأمور... الكثير من نظراته الثاقبة وفروضه الجريئة تبدو للوهلة الأولى مغرقة في الخيال".⁴

¹ خالد اليعودي، عودة إلى غرناطة عبر ساجيتوروس، ص117.

² المصدر نفسه، ص116

³ المصدر نفسه، ص116.

⁴ المصدر نفسه، ص117.

الفصل الثاني: الخيال والتخييل في رواية (عودة إلى غرناطة عبر ساجيتوروس)

شكل ابن خلدون مركز رئيسي من بين شخصيات الرواية حيث ركز عليها الروائي معتمدا وصفه من طرف شخصية أخرى في الرواية، ففكرة الروائي أن المواصفات الفيزيولوجية متعدّدة بتعدّد من يقدّمها حتى تؤدي نتائجها المرجوة.

شخصية الغني بالله (محمد الخامس):

إنه سلطان مملكة غرناطة في عهده الثانية، انفرد بالتحكم في زمام الأمور، وتلك الحاشية لديه مجرد شكليات، يتحكم في دولة بني مرين فهو ينصب من يشاء وينزع من الملك من يشاء، وقد كان "رجلا كبيرا الهيكل، عظيم الرأس، تتوسط وجهه العريض الجبهة عيانا لامعتان تتطلعان في انتباه إلى كل ما حوله، عمامته ضخمة مزركشة بخيوط ذهبية تتوج رأسه العريض، وخواتم ذات فصوص حمراء كبيره تزين أنامل يده، يشعّ منهما بريق صولة دولة بني الأحمر..."¹، فرغم الولاء والخدمات التي قدّمها له ابن الخطيب لم تشفع له عنده، وتماطل في اتخاذ قرار بشأنه، وكذلك كان بسبب تحريض الحاشية اللعينة.

شخصية عامر الحسناوي:

هو حاجب السلطان يعمل في القصر يأتمر بأوامره ينتهي بناوحيه، كان "... شغوفا إلى حدّ الجنون بالنساء، حريص على مضاجعتهنّ بالجملة، وهو رجل طويل القامة، أبيض الوجه، بارز الوجنات، أجرد الوجه، أزرق العينين غائرهما، عريض ما بينهما يشعّ منهما بريق غريب"². لقد كان يرافق الملك أينما كان في القصر كما أنه ينظّم عمل الخدم.

شخصية أحمد الرهوني:

وحسب السارد فقد كان سببا في إسقاط إشبيلية بوقوفه إلى جانب زعيم النصارى حين كان شابا أرعنا، فهو من البطانة الفاسدة يسير في ركابها وقد "... كان قويا البنية رغم تقدّمه في السنّ ربما هو انعكاس لعنفوان المال... هالني وجهه العبوس ينطق بجلافة

¹ خالد اليعبودي، عودة إلى غرناطة عبر ساجيتوروس، ص 165.

² المصدر نفسه، ص: 176

الفصل الثاني: ————— الخيال والتخييل في رواية (عودة إلى غرناطة عبر ساجيتوروس)

سيّاف، بدا كأنه عرك الأيام وعركته بما خاض من مغامرات الحروب وعانى من أهوالها، دخل يتبخر إلى فناء القصر بملابسه الحريرية البراقة بكثرة الفصوص والنياشين¹. فهو قائد جُند مملكة غرناطة وهو لا يحبّ الحرب، لكنه يهتم كثيرا بملء جيوبه بالأموال.

شخصية ابن زمرك:

شاعر البلاط النّصري، وهب نفسه لقول الشعر في بلاط السلطان، كان أشدّ الحاقدين على لسان الدّين ابن الخطيب ولشدة حقه وغيرته منه لاهتمام السلطان به وتفضيله عليه باتمانه على شؤون المملكة، لذلك كان كلما ذكر الشيخ سيرة ابن الخطيب ترى الشاعر له بالمرصاد، معارضا لكلامه، موغرا صدر السلطان عليه، فهو "...الذي يضع على رأسه الصغير عمامة، يتدلى منها شعره الأسود الكثيف على كتفيه وظهره..."². فهو "بوجهه المستطيل، وعظام وجنتيه النانتين، ومحجريه الغائرين، وعينيه الصغيرتين المحمرتين، كانت نظراته الماكرة وحركات يده تتطق بما لا ينطق به لسانه، وتكشف أنه صاحب ضغينة لا ترتوي"³.

شخصية أبو حسن النباهي:

قاضي قضاة غرناطة هو من صاغ صك الاتهام ضدّ لسان الدّين، هو من زمرة الحاشية التي تماري سلطان وتزين له مساوئ الأفعال وقد كان "... هذا القاضي أشبه ببقايا سنديانة منهوشة الساق، ذاوية الأغصان، مترهّلة الأوراق، كان كهلا في نحو الخمسين من عمره، ذا وجه حافل بالتجاعيد، في عينيه حدّة الصّقر، وفي ملامحه استنفار: حركاته منبّئة بعجرفته..."⁴، كان من الحاقدين على ابن الخطيب فقد حكم عليه محاكمة غير عادلة دون أن يتحرى الحقائق كاملة.

¹ خالد اليعودي، عودة إلى غرناطة عبر ساجيتوروس، ص161.

² المصدر نفسه، ص160.

³ المصدر نفسه، ص158.

⁴ المصدر نفسه، ص158.

شخصية شنتوف الطابع:

هو رئيس الشرطة يقضي جل وقته في القبض على المجرمين والرافضين لحكام بني نصر، فنظراته المليئة بالحقد تزرع الخوف بالنفوس، فقد "كانت تقاطيع وجهه تدل على أنّ حياته غاصّة بالحركة حاولت أن استكشفت ما وراء حاجبيه الغزيرين المقوّسين الراسيين فوق عينيه الغائرتين يرقب بهما مجريات الدنيا... إنّ نظراته الزائغة المريعة تثير هلع من يراه، وأن وجهه وجه ملعون عاد على التوّ من الجحيم"¹، كان هو الآخر من البطانة الفاسدة التي لا همّ لها سوى التحريض والحقد.

شخصية لسان الدين ابن الخطيب:

يلقّب بذي العمرين، وذي الوزارتين، يمثّل ابن الخطيب شخصية أدبية وسياسية من الطراز الأوّل، فقد كان له الفضل في تدبير شؤون مملكة غرناطة وذلك للولاء الكبير الذي كان يحمله لبني الأحمر، فقد كان ملازماً للغني بالله وقبله والده، ممّا أثار حسد وغيره حاشية الملك، فأوغروا صدر السلطان عليه بادعائهم أنّه يتآمر على السلطان، مع أنّه كان قبل سجنه يقضي معظم وقته في تدبير أمور الدولة، فيقول عنه ابن خلدون "عرفته طوال هذه السنين طيّب القلب والسريرة يقضي معظم يومه في تدبير الشؤون الدولة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكرات..."²، كان طيّباً عطوفاً "فوالله لقد عاش وادعا هادئاً لا يؤذي أحداً ولا يحسد أحداً... ولا يوغر صدر سلاطين الدولة النصرية على رجالات البلاط"³ أما بعد ظلمه زورا وبهتاناً فقد اسودّت الدنيا في نظره وأثر السّجن على صحّته جسدياً ومعنوياً فكان يستنجد بصديق العمر "يستصرخ بي ويستنجد بجسمه المكدود، جلطات الدم المتخثّرة على جلبابه المهترئ... جسمه بالغ النحول، وبأسماله الحالكة، نخرت المحنة عوده وابيضّ جلده من شدّة الهلع والانفعال وغدا وجهه بالغ

¹ خالد اليعبودي، عودة إلى غرناطة عبر ساجيتوروس، ص 159.

² المصدر نفسه، ص 124.

³ المصدر نفسه، ص 128.

الفصل الثاني: ————— الخيال والتخييل في رواية (عودة إلى غرناطة عبر ساجيتوروس)

الشحوب والهزال، واكتسبت عيناه حمرة دالة على أنه لم يذق طعم النوم لليل طوال، رأيت فيهما الأهوال التي واجهها طوال مده سجنه"¹، فقد تمّ وصف هذه الشخصية من طرف شخصية أخرى هو شيخ المشايخ الذي كان على قدر كبير من الحزن والأسى لحال خليله والذي كان في حالة يرثى لها من التأثر والصدمة التي أصابته جرّاء هذا المصاب الجلل.

شخصية موحا الزغبي:

شخص زاهد اجتمع الناس حوله، وحملوه همومهم، فقد أجمعوا أن يكون قائدهم، فهو دائم الاختلاء بنفسه للتعبّد والتهجّد وترتيل المدائح فهو "سيدّ بني نصر رجل طاعن في السنّ، ضامر الجسد كأنّما جفّفت الأعوام التي قضاها بأعالي الجبال ما هو زائد في بنيانه، يلبس جلبابين صوفيين... صوّم قوّم، دائم الذكر مسترسل في ترتيل الأمداح، ميمون النقيبة، مكرم للصلحاء، كثير الرأفة على مساكين الأرباض يقضي أكثر نهاره ذاكرا وأكثر ليله قائما..."²، لكن رجال الشرطة لم يتركوه في حاله لأن الناس التقوا من حوله وأرادوه زعيما لهم، فحاولوا إغراءه بشتى الطرق ولما فشلوا في التغلب عليه بالحيلة قاموا بقتله، وهذه الشخصية في الرواية هي من صنع خيال الروائي لا أساس لها في التاريخ أدخلها الروائي ليصوّر لنا جانبا خياليا في الرواية وكذلك ليبرز جانب الخلافات التي كانت في الأساس بين أفراد الأسرة الحاكمة، فهذه الشخصية أعطت قيمة فنية للرواية.

شخصية حمدون المغاري:

كان معلّم قرآن يعلم النشأ، ثم ذاع صيته وأصبح أمين الكتبيين فهو "معتدل القامة خمري اللون، تجاوز العقد الرابع من عمره، يلوح الذكاء من عينيه النافذتين إلى أعماق من يواجهه، يرتدي طيلسانا أخضرا، ويتعمّم بعمامة عريضة فهو فطن حاضر

¹ خالد اليعبودي، عودة إلى غرناطة عبر ساجيتوروس، ص129.

² المصدر نفسه، ص188.

الفصل الثاني: ————— الخيال والتخييل في رواية (عودة إلى غرناطة عبر ساجيتوروس)

البدية...¹، وقد تم وصفه من طرف السارد، وحمدون المغاري كان "مفعما بالمحبة والبركة، طيب الخصال، صادقا نزيها"² يهتم كثيرا بجمع الكتب من أنحاء المعمورة، ويؤلمه تزامم الناس على شراء الكتب من أجل تزيين رفوف المنازل دون قراءتها ولاستفادة منها، هو أحد الذين يخططون لإقامة ثور ضد الغني بالله.

شخصية سعدون الورياكلي:

هو وراق بنفس الحارة ويسعى إلى نفس مسعى حمدون وهو الثورة ضد السلطان، فقد كان يزرع الحماس في الثوار ويخطب فيهم كأنه قائد مغوار "وهو ذو صدر مجوّف، وظهر محدودب قليلا... كان ضئيل الحجم، كث اللحية متأنقا، ذا حاجبين كثيفين..."³، كان متحمسا لخوض غمار هذه الثورة لأنه ضاق ذرعا بتصرفات الغني بالله المستهترة.

شخصية فركوس قلاون:

خصي من غلمان قصور الحمراء، ممن أتى بهم السلطان من أصقاع المعمورة من صقلية، وقد كان "شابا يافعا أمردا طويل القامة، واسع الصدر عريض المنكبين، تشع من وجهه الأبيض حمرة خفيفة، وليس على وجهه شعر على الإطلاق، لا لحية ولا حواجب ولا أجفان، سيماه دالة على خنوثة الغلمان... وهو دائم الابتسام يضحك لأهون المقامات"⁴ كان أحد الخدم الكثيرين الذين يعكفون على خدمة السلطان، وله طموحات فهو يأمل أن يكون غنيا، كان يحس أنه أرخص من أثاث القصر لكثرة عددهم.

شخصية سيرينا الرومية:

جارية السلطان الغني بالله، وهي رومية الأصل أهداها ملك أراجون للغني بالله لتوطيد أواصر الصداقة وحسن العلاقات، فكانت "كأنها قُدت من قطعة من الثلج، وبشعرها

¹ خالد اليعودي، عودة إلى غرناطة عبر ساجيتوروس، ص110

² المصدر نفسه، ص112.

³ المصدر نفسه، ص131.

⁴ المصدر نفسه، ص191.

الفصل الثاني: الخيال والتخييل في رواية (عودة إلى غرناطة عبر ساجيتوروس)

الفاحم السواد المنسدل على كتفيها، وبشفتيها القرمزيتين، وخديها الورديتين...¹، فهي محظية السلطان التي أثرها على باقي زوجاته وجواريه، فكان يقضي معظم الوقت معها دون سواها.

شخصية الفقيه الجذامي:

فقيه وقاضي غرناطي، أحد أفراد البلاط الغني بالله، وقد كان "متشحا بدثار صوفي متقدماً في السن، مقوس الظهر، كثير التجاعيد، ذا غضون عميقة في قفا رقبته، لحيته ذات خصلات طويلة، ثقيل اللسان، أبج الصوت، هدته الأعوام، وأتلفت غالبية أسنانه الأمامية..."²، وقد كان من حاشية البلاط الذين أوغروا صدر الغني بالله، وكان يسخر كثيراً من ابن خلدون ولا يتوانى في استقزازه.

شخصية موحا الطابع:

أحد رجالات الحاشية، كان يقوم بتقديم الموائد على الطرقات للفقراء والمعوزين كلما أمر السلطان بذلك، وقد كان "في هيئته وقار، وطيبة أصيلة، أبلى البلاء الحسن في القضاء على المواخير بربوع هذه الإمارة"³.

ومنه نخلص: أن الرواية تضمنت شخصيات عديدة، حرّكت أحداثها كلّ الشخصيات دون استثناء كلّ حسب الدور الذي أوكل إليه، وقد كان الكشف عن الشخصيات يتم في معظمه من قبل السارد إلا في بعض الحالات التي تمّ وصفها من قبل شخصيات أخرى، والملاحظ في وصف الشخصيات أنه يوجد العديد منها مثل صورة قبيحة شكلاً ومضموناً، وقد اعتمدت الرواية على إبراز حقائق تاريخية تخلّلتها الخيال الجامح في كثير من الأحيان، وقد بيّنت أهمية أن يكون الإنسان بريئاً ويُطعن في مبادئه وأهم مقومات الإنسانية، ومدى الألم والحسرة التي قد تحلّ بالإنسان مهما علت مراتبه في الدولة.

¹ خالد اليعبودي، عودة إلى غرناطة عبر ساجيتوروس، ص194.

² المصدر نفسه، ص188.

³ المصدر نفسه، ص186.

2 - البعد الاجتماعي:

يتحدّد البعد الاجتماعي للشخصية فيما تخلفه من أثر في المجتمع كما تصوّره الرواية، بمعنى علاقة الشخصية الواحدة ببقية الشخصيات الأخرى في الرواية، والصراع الذي تحدّثه الشخصيات التي لها الدور الفاعل في الرواية، فالإنسان كائن اجتماعي لا يمكنه العيش بمفرده مهما كانت الأسباب والظروف.

وفي إطار تحديد صفة العلاقات الإنسانية بين الشخصيات والمبادئ التي تسير عليها يضع الروائي جملة من المحدّدات التي تجعل الشخصية في إطار مجتمعي مثل انتماء الشخصية إلى طبقة اجتماعية، وفي عمل الشخصية، وفي نوع العمل ولياقته بطبقتها في الأصل، وكذلك التعليم وملابس العصر، ثم حياة الأسرة في داخلها، الحياة الزوجية والمادية والفكرية وصلتها بتكوين الشخصية ويتبع ذلك الدين والجنسية والتّيارات السياسية¹.

فالمجتمع عبارة عن مجموعة من الأشخاص تجمعهم رقعة جغرافية محدّدة، ومن هنا يمكن أن يتم عملنا من خلال دراسة الشخصيات وتكيّفها مع ظواهر اجتماعية مختلفة، والرواية تقدّم لنا نموذجاً مصغراً لهذه المجتمعات حيث لا يقتصر الروائي على التركيز على حياة الشخصية وإنما يُصوّر حياة مجتمعات بأكملها، ومن خلال المؤثرات التي تُحدّثها الظواهر تتغيّر الشخصيات بحسب التغيّرات التي تحدّثها عليها الظروف.

وفي رواية الخيال العلمي نحن بصدد عرض مجتمعات مستقبلية متخيّلة، والرواية تقدّم نموذجاً لهذه المجتمعات، ومنه يمكن أن نعالج البعد الاجتماعي للشخصيات من خلال تحديد مفهوم العمليات الاجتماعية، ويمكن إعطاء تعريف خاص للعلاقة الاجتماعية بأنّها نموذج للتفاعل الاجتماعي المتبادل بين شخصين أو أكثر، ويمثّل هذا النموذج أبسط وحدة من وحدات التحليل السوسولوجي²...

¹ محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط7، 2007، ص573.

² أحمد رأفت عبد الجواد، مبادئ علم الاجتماع، مكتبة نهضة الشرق، جامعة القاهرة، (د.ط.)، (د.ت)، ص90.

الفصل الثاني: الخيال والتخييل في رواية (عودة إلى غرناطة عبر ساجيتوروس)

وتظهر العلاقات الإيجابية في التعاون بين الشيخ وسلمان في محاولة تخليص ابن الخطيب من أجل الوصول إلى هدف مشترك يتم من خلاله إثبات الحقيقة وتجليها أمام الجميع، وهو تعاون تثبت فيه الشخصيتان القيم السائدة في تلك البيئة.

أما في ما يتعلق بالتنشئة الاجتماعية وظروف الشخصية يمكن للعلاقة بين الشيخ والطبقة الحاكمة تمثيل النموذج المجتمعي ويمثل قيم الحياة الاجتماعية المستقبلية، وهو مجتمع متكيف مع قوانين الدين الحنيف والتنشئة الاجتماعية، وهي عملية تفاعل يتم من خلالها تمثل الفرد لمعايير وقيم وثقافة مجتمعه؛ ليصبح متكيفا مع بيئته الاجتماعية، وقوام هذه العملية هو نقل التراث الثقافي والاجتماعي من جيل إلى جيل، ويتم اكتساب الأفراد ذلك منذ ولادتهم حتى تتكامل شخصياتهم الاجتماعية مع مظاهر بيئاتهم الاجتماعية¹.

فدور المجتمع في رواية عودة إلى غرناطة نابع من قيم دينية وأخلاقية لا يمكن لأي أحد أن يتجاوزها، فالمجتمع مبني على أساس التكافل والترابط، أما في البلاط فيقوم على التناظر بسبب تلك الحاشية التي تصور الجانب غير الأخلاقي في المجتمع، فالمجتمع عادة يقوم بتلقين أفرادها قيما إنسانية راقية تقوم على الدين قبل العواطف لكن هذه القيم انقلبت عند بعض الأشخاص المناوئين أمثال السلطان وحاشيته وذلك ببعض الممارسات السيئة والمخلة "ظل الندماء يتحامقون ويتماجنون تغلبهم أهوائهم ولا يكثرثون بالأصول والأعراف، كل همهم منصبّ حول الحاضر المائل أمام أعينهم..."².

هذه الرواية لا تكيف الناس مع بعض الأشياء التي لا تبدو طبيعية في المجتمع مثل الرشاوي والمحسوبيات التي انتشرت في المجتمع، نتيجة ضعف الوازع الديني الذي يؤدي بدوره إلى إفساد المجتمع وانتشار مثل هذه السلوكات القبيحة التي تؤدي بدورها إلى انحلال المجتمع، وتسرب اليأس في نفوس الناس نتيجة لعدم حصولهم على وظائف أو أعمال إلا من خلال المرور بهذا الطريق الفاسد.

¹ أحمد رأفت عبد الجواد، مبادئ علم الاجتماع، ص 95.

² خالد اليعبودي، عودة إلى غرناطة عبر ساجيتوروس، ص 262.

الفصل الثاني: ————— الخيال والتخييل في رواية (عودة إلى غرناطة عبر ساجيتوروس)

فوجد التكيّف بين الناس وبين السلطة الحاكمة يكاد يكون منعدماً نظراً لانفراد هذه السلطة بتحريض من وزرائها إلى محاولة إحكام القبضة على العامّة وذلك بإغراقهم بالضرائب وعدم إشراكهم في حكم الدولة واستشارتهم ممّا جعلهم ناقمين على حكّامها.

ستظهر العلاقة بين الشخصيات وذلك من خلال علاقة ابن خلدون بالسلطان والحاشية ويبدأ الصّراع بين الشيخ والحاشية ابتداءً من دفاع الشيخ المستميت على خليفه "يا ليتكم تطلقون ابن الخطيب من الأسر وتفكوا أغلاله... لأستعين بحنكته..."¹، فقد استطاع الرّوائي إدخال صراع عنيف بين هذه الشخصيات التي تُعبّر عن فكرة الرّفص لبقاء ابن الخطيب ضمن السلك السياسي، وذلك من خلال تهميشه وإبعاده تماماً عن السلطة، وذلك باتهامه المزور ليخلوا لهم الجو في ممارسة طغيانهم على الرّعية.

والصراع الآخر تمثّل في صراع السلطان والشرطة مع الثّوار الذين عبّروا عن احتجاجهم ورفضهم لتصرّقاته التي تثبت اللّامسؤولية واللّاوعي، فهو لا يفكّر في مصلحة الرّعية بقدر ما يفكّر في تزيين القصور وجلب الخدم والحشم بينما يعاني بعض السكان من الفقر المدقع فهم يعانون الولايات خاصّة في الأرباض المحيطة بغرناطة يفتقدون لأبسط شروط الحياة.

والصراع في هذه الرّواية يبدو جماعياً فهو تارة بين الشيخ والسلطان والحاشية وتارة بين السلطان والشرطة والثّوار، فهو صراع تشرّب ونما نتيجة لأوضاع خاصّة تفتّت في المجتمع بسبب انعدام العدل والمساواة بين أفراد المجتمع.

نخلص من خلال دراسة البعد الاجتماعي للشخصيات أنّه لا يمكن الوصول إلى تركيبة المجتمع المتخيّل إلّا من خلال ما يكون بين الشخصيات من علاقات، والتي من خلالها تتحقّق بعض العمليات الاجتماعية.

¹ خالد اليعودي، عودة إلى غرناطة عبر ساجيتوروس، ص: 279.

الفصل الثاني: ————— الخيال والتخييل في رواية (عودة إلى غرناطة عبر ساجيتوروس)

نستنتج في الأخير أن الصراع كان خاصا بالقيم والمبادئ الإنسانية التي اندثرت في مجتمع كان من المفروض أنه لا يتدنى إلى هذا المستوى لأن عقيدته الإسلام الذي يقوم على التسامح والمحبة والإخاء والتعاون.

3 - البعد النفسي:

نعني بالبعد النفسي الجانب الباطني للشخصية الروائية والخصائص السيكلوجية (النفسية) التي تتجسد في الانفعالات الخارجية للشخصية، "وقد دار جدال عنيف بين هنري جيمس وهربرت جورج ويلز حول الشخصية في رواية الخيال العلمي، حاول جيمس حث ويلز على ترك الكتابة الإبداعية إلى إصلاح المجتمع، ومن ثمّ الالتفات إلى خفايا النفس واستكشافها، فكان رد ويلز أن إمكان النظر في النفس يتم فقط في حالة الاستقرار الاجتماعي، وقد رأى ويلز أن التغيرات الاجتماعية السريعة تحت وطأة التطورات العلمية والصناعية هي التي تُحد من حرية الفرد وتقرّر مصيره، وقسم من الأدباء المعاصرين يتفق مع رأي جيمس، فقد بدأ عدد منهم دراسة أعماق النفس البشرية متجاهلا الحقل الاجتماعي والاقتصادي، بينما نجد قسما آخرًا من كتّاب الخيال العلمي ينحاز إلى رأي ويلز، هؤلاء حاولوا كتابة روايات تكون فيها بنية النص الأدبي هي المسيطرة، ولكن من خلال هذه البنية تحاول الشخصية الخروج للتعبير عن ذاتها وتقرير مصيرها"¹.

وعليه تركّز رواية الخيال العلمي على الجانب الداخلي وما تشعر به الشخصية من هموم بفعل الواقع الذي تعيشه، فالرواية ستواجه الكثير من المشكلات في واقع متخيّل يشارك في بنائه الخوف من المستقبل، وذلك ناتج عما شهده العالم من تغييرات نتيجة تطورات علمية وتكنولوجية كبيرة. "ويبدو أن هناك بعض السّمات النفسية والسلوكية السائدة التي تكاد معظم الشخصيات الروائية المركزية تتسم بها بدرجات متفاوتة الوضوح"².

¹ عصام عساقلة، بناء الشخصيات في روايات الخيال العلمي في الأدب العربي، ص90، 89.

² محمد مسباي، التحليل النفسي للرواية، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ط.)، 2009، ص82.

الفصل الثاني: ————— الخيال والتخييل في رواية (عودة إلى غرناطة عبر ساجيتوروس)

لذلك طرحت رواية الخيال العلمي الكثير من الاستفهامات حول علاقة الشخصية بالآلة وما تسببه من مخاطر، إضافة إلى التغيرات الاجتماعية مما يؤدي إلى بروز العديد من الحالات النفسية للشخصيات، لكن هذه التغيرات على النوع البشري تكسبه خصائص مختلفة كالكلام والتفكير.

لقد خطت الحاشية وسقطت كل أفئنتها وذلك بتحالفاتها ضد أحد الذين وهبوا أنفسهم لخدمه المملكة، فهذا الجرم الكبير شكّل خطراً على الشخصية ومن هنا تبدأ مآسيها، "وقد انبرى الشيخ مدافعا عن خليله: ذو العمرين يا سيّد السلاطين حريص على سوّد دولتكم النصرية، ولا زال كذلك إلى حدّ الساعة وهو يذوق أصناف الهوان في سجن فاس الجديد، وقد ابتغى بالأساس استئلاف من يقدر من المسلمين على مدافعة الكفار عن إماراتكم"¹.

وفي رواية عودة إلى غرناطة عبر ساجيتوروس تتشكل أبنية نفسية لكل شخصية على حدى بحسب تفاعلها مع ما يحدث، وتأتي شخصية ابن الخطيب كشخصية مهمّة تكشف عما يعتمل بداخلها.

- البناء النفسي للشخصيات في رواية عودة إلى غرناطة:

يبدأ الصراع منذ الوهلة الأولى بمشكلة ابن الخطيب الذي تمّ اعتقاله دون وجه حق، فهو رجل دولة وسياسي محنّك وأديب متميز، تمّ الإيقاع به واعتبر من الخارجين عن قانون المملكة، ويظهر الرّوائي مدى تأثر ابن الخطيب بهذه المشكلة التي لم تكن في الحسبان، مشكلة أودت بحياته وجعلته يعيش الأمرين في سجن انعدمت فيه أدنى شروط الحياة " لم يكن يُخيّل إليّ ساعتها أنه أحقر مكان شاهدته طوال عمري بجدران العارية الباردة المظلمة المتسخة بأكوام القش المبعثرة بزنانته الننتة، وبحراسه الطغاة القساء..."²، بالنسبة لهذه الشخصية المرموقة التي اعتادت على العيش في القصور، أي

¹ خالد اليعبودي، عودة إلى غرناطة عبر ساجيتوروس، ص218.

² المصدر نفسه، ص222.

الفصل الثاني: ————— الخيال والتخييل في رواية (عودة إلى غرناطة عبر ساجيتوروس)

الحياة الناعمة فهو يقول: "ياليتني لم أنشأ نشأة مرهفة ناعمة في قصوركم الحمراء، لكنك أشدّ تحملاً لفظاً السجّان وغلظة هؤلاء السجناء"¹، وهذا ما جعله يعاني عديد الحالات النفسية التي تترجمها شكاويه لأعزّ أصدقائه وكذلك الرسالة التي بعثها إلى الغني بالله، فقد تحطّمت نفسيته بوضعيته الجديدة التي آل إليها، ممّا جعله يفكّر في الانتحار ولولا إيمانه القوي بالله وبأنّ ما يحدث له مقدّر ومكتوب، فقد أورد الشيخ "وجدته لا يشعر بالقنوط داخل زنزانته القرفة لإيمانه الكبير بالله واستئناسه بعقله الحصيف"².

فقد كان الإيمان بالله هو الطريق الوحيد الذي جعل ابن الخطيب يصبر على مصابه ويعيش على أمل أن يخرج من هذا الجحيم الحقيقي، فقد انتقل من مرحلة المعاناة والصراع مع الآخرين إلى مرحلة القناعة والرضا.
البناء النفسي لشخصية ابن خلدون:

خضعت نفسية ابن خلدون إلى أربعة تحولات وهي: ما انتابه من شعور حول مظاهر الحياة في البلاطات.

وما يحسّه اتجاه ابن الخطيب، وما يحسّه اتجاه السلطان وحاشيته، وما أحسّه من ارتياح نحو سلمان، وفي كلّ واحدة من هذه العلاقات تتشكّل نفسية ابن خلدون:

- بغضه لمن يقودون المملكة.

- حبه لصديقه وإخلاصه له.

- عاطفة الألفة والمحبة التي جمعتهم بسلمان والكتبي.

فعاطفة البغض التي كان يكتنّها لبعض رجال الدولة ناتج عن تصرفاتهم القبيحة اتجاه صديقه، وهذا العدوان موجّه إلى جماعة برمتها هي بؤرة الفساد في البلاد وهذا ما يبيّن

¹ خالد اليعبودي، عودة إلى غرناطة عبر ساجيتوروس، ص224.

² المصدر نفسه، ص217.

الفصل الثاني: ————— الخيال والتخييل في رواية (عودة إلى غرناطة عبر ساجيتوروس)

بوضوح أحاسيس الرفض وعدم التقبّل والاحتمال، "فلم يستصغ الشيخ سخرية الغني من وزيره المنكوب..."¹.

وتعبّر شخصية ابن الخطيب عن حاجة الشخصية إلى الجانب الإنساني والمبادئ الأخلاقية التي يحتاجها الإنسان في كلّ حياته خاصّة إذا تعاضمت همومه ومصائبه.
البناء النفسي لشخصية ابن زمرك:

من الشخصيات التي مثّلت ظاهرة العداة الشديد لابن الخطيب، ولقد رأى ابن زمرك في هذه المرحلة من حياته أنّ مصلحته ومصلحة ملكه سيان، فانتصاره مرتبط بانتصار هذا الأخير، وعليه فإنّه تفرّغ بكلّ جهوده لتحطيم صديقه السابق الذي أصبح من ألدّ أعدائه، فما بقي لابن الخطيب إلّا أن يتأمّل هذه الوضعية ويتأسّف على ما توصل إليه من كان بالأمس تحت جناحه².

هكذا سارت الأقدار وأصبح التلميذ مكان الأستاذ، والأدهى والأمر أنّه كان ممن يضمرون الشرّ لأكثر الرّجال فضلا عليه، فقد كان يعامله انطلاقا من أنّه الرجل الخائن الذي باع المملكة، ولم يكفه هذا فقد كان يتوجّس خيفة أن يعفو عنه السلطان أمام توسّلات الشيخ، لذلك كان شديد الحرص على تعكير صفو الشيخ كلما سمعه يتحدّث عنه فهو يرى أنّه "... بمرور الأيام أصابه الكبر والغرور فتجبرّ وتغطرس، وزخرت تصانيفه بما يخالف شعار ديننا الحنيف وسنّيه المحمدية"³، مذكّرا السلطان ومحرّضا إياه علا ابن الخطيب قائلا: "كتب إليكم متبجّحا... اعلموا على وجه النصيحة أن ابن الخطيب مشهور في كلّ قطر وعند كلّ ملك.... فإنّما كان ابن الخطيب بوطنكم سحابة رحمة نزلت ثمّ أقشعت، وتركت الأزاهر تفوح، والمحاسن تلوح..."⁴، ولم يتوقف حقد ابن زمرك على أستاذه وولي نعمته فقط بل امتد إلى الدولة المرينية حيث كان يشكك في حكمها وينتقص من

¹ خالد اليعبودي، عودة إلى غرناطة عبر ساجيتوروس، ص 217.

² حمدان حجاجي، حياة وآثار ابن زمرك، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون، الجزائر، (د.ط.)، (د.ت)، ص 47.

³ خالد اليعبودي، عودة إلى غرناطة عبر ساجيتوروس، ص 218.

⁴ المصدر نفسه، ص 220.

الفصل الثاني: ————— الخيال والتخييل في رواية (عودة إلى غرناطة عبر ساجيتوروس)

قيمتهم بقوله: "إن أسلافكم المنعمين بذلوا الجهود الحثيثة لكسب مودة الزناتيين ولكن هؤلاء تجبروا وتعجرفوا وتصلّفوا..."¹. ولم يهدئ بال ابن زمرك إلاّ موشيا بملوك فاس وقضاتها قائلاً: "لقد أمر هذا القاضي الفاسي بصفاقته المعهودة بجلد أحد سفرائنا المبعجلين أمام أعين عامّة أهل فاس وخاصتهم دون اعتبار لمقامكم المبعجل"².

فابن زمرك لم يهدأ له بالاً إلاّ بإشعال نار الفتنة في قلب السلطان وجعله يتحكّم في رقاب ملوك العدو المغربية فقد أورد السلطان قائلاً: "... ما الجدوى من مهادنة أشياخ بني مرين، ونحن نتحكّم في مصائرهم؟... نعيّن منهم من نريد، ونقيل من نريد!"³. كما أوصل أستاذه إلى حبل المشنقة.

شخصية الإنسان الآلي:

هذه الشخصية تقوم بوظائف محدّدة مع أنّه لا يمتلك العواطف اتجاه البشر إلاّ أنّه يحسن المرافقة لهم، ويكون أكثر ملازمة لأفراد الأسرة، والروبوتات تعمل عن طريق برمجتها فهي تسير وفق ما يريده الإنسان، وهي لا تشكّل خطراً عليه، وفي الرواية لم يعطه الرّوائي أهمية كبيرة إلاّ من خلال بعض الأعمال المنزلية: "بينما ذهب سويعد لإعداد الفطور وإحضاره مع حزمة من قصاصات آخر الأنباء الكونية يستخرجها من طابعتة الكامنة ببطنه المستطيلة"⁴.

نخلص من خلال دراستنا للبعد النفسي لشخصيّات الرواية أنّ الرّوائي ركّز على ما يعتمل في نفوس الشّخصيات وكشف خباياها، وهو ما يجعل المتلقي في صورة مع الشّخصيات فهو على اطلاع مباشر على تغييراتها ومن خلال مواجهتها للأحداث، فالإنسان كلما استسلم لسلطة تفقده إحساسه بذاته ضاعت آماله، وكلّما انتلّف مع كلّ ما هو من طبيعته وجد راحته.

¹ خالد اليعودي، عودة إلى غرناطة عبر ساجيتوروس، ص 209.

² المصدر نفسه، ص 210.

³ المصدر نفسه، ص 204.

⁴ المصدر نفسه، ص 9.

طبيعة الأفعال ومستوياتها:

تهدف الدراسة إلى إبراز أفعال الشخصيات التي تقوم بإعطاء دفعة إلى أحداث الرواية، وتوضيح دوافعها، والأحداث المنجزة في الرواية تستند إلى هذه الشخصية أو تلك، ويكون تقابل الأفعال في الرواية من خلال محورين لهذه الأفعال، أفعال الهدم وأفعال البناء.

أ- **أفعال الهدم:** تعني هذه الأفعال ما يعيق الحدث، وتؤدي إلى تقوية الصراع بين الشخصيات كما قد يحدث تغييراً في مسار الأحداث، وهذه الأحداث في رواية عودة إلى غرناطة عبر ساجيتوروس كالآتي:

- سجن ابن الخطيب.

- قدوم ابن خلدون إلى غرناطة بغرض تخليص ابن الخطيب.

- تماطل السلطان في قضية ابن الخطيب.

- ظهور الخلافات على الحكم.

- قتل ابن الخطيب.

فكل هذه الأفعال زادت من حدة الصراع، فهي الأفعال التي تنتج من خلالها حركة الأحداث في الرواية حيث تركز على مجموعة من الأشخاص منذ سفر سلمان وسجن ابن الخطيب إلى قتله.

ب- **أفعال البناء:** تكون مقابل أفعال الهدم وهي تسير بالأحداث في اتجاه إيجابي وفي رواية عودة إلى غرناطة كانت كالآتي:

- تمرد ابن الخطيب على السلطان وحاشيته.

- قيام سلمان بخدعة المنجم لمساعدة ابن الخطيب.

- قيام ابن خلدون بدفاع مستميت عن صديقه.

- الإيمان بالله يهون المصاعب على ابن الخطيب.

الفصل الثاني: الخيال والتخييل في رواية (عودة إلى غرناطة عبر ساجيتوروس)

فأفعال البناء تظهر مع ابن الخطيب في موقفه المضاد لحاشية السلطان، أمّا ابن خلدون تظهر أفعال البناء لديه في موقفه السلبي من حاشية السلطان والسلطان ذاته، أمّا مع سلمان أفعال البناء لديه تتمثل في تأثره بالمواقف المحرّجة التي تعرض لها الشيخ جراء دفاعه عن صديقه.

خامسا: السفر عبر زمن كآلية من آليات الرواية التاريخية:

1- السفر عبر الزمن: أثارت كثير من روايات الخيال العلمي موضوع السّفر عبر الزمن، فهل يمكن تحقيق هذا الهدف؟ أم أنه يبقى مجرد حلم يراود البشرية؟ يمكن واقعا تعريف السّفر عبر الزمن بأنه: المغادرة من مكان ووقت معيّن من وجهة نظر المسافرين من أجل الوصول إلى نفس المكان ولكن وقت سابق من وجهة نظر المراقب المستقر، وتنشئ مفارقات السّفر عبر الزمن من حقيقة أنّ النقل يحدث بعد الوصول وفقا لأحد المراقبين وبعد الوصول وفقا للآخر، ويشار للسّفر عبر الزمن وفقا لمصطلحات النسبية أنه الترتيب الزمني غير الثّابت للأحداث، وهذا ما يعارض ويخالف المفاهيم السببية، وفي الواقع لا يعتقد جميع العلماء أنّ السّفر عبر الزمن للإنسان ممكنا، حتى إنّ البعض الآخر يعتقد أنّ المحاولة ستكون قاتلة لأي إنسان يختار القيام بذلك¹، يقتضي هذا السّفر القيام بانعطاف مقداره مئة وثمانون درجة في الزمكان، ومن بين الإستراتيجيات العديدة المقترحة، هناك الإستراتيجية المتمثلة في العودة التامة إلى الوراء، لكن المكان المستوي الذي لا توجد به كتل تعمل على انحنائه سيؤدي إلى حصول الدمار، لأنّ كلّ شيء مادي سيحترق بالكامل عند الشروع في العودة إلى الوراء².

رغم ما وصل إليه العلم والعلماء من تطوّر علمي وتكنولوجي تبقى مسألة السّفر عبر الزمن من المستحيلات وهذا ما يؤكّده العلماء، بل أنّ الموت سيكون مصير من يفكر

¹ غادة الحلايقة، السفر عبر الزمن حقيقة أم خيال، 15 أكتوبر، 2018م.

<https://Mawdoo3.com,4-4-2020> .11,50

² جبريل شارادان، هل يمكننا السفر عبر الزمن؟، تر: عز الدين الخطابي، مرا: فريد الزاهي، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، ط1، 1433هـ-2012م، ص54.

الفصل الثاني: الخيال والتخييل في رواية (عودة إلى غرناطة عبر ساجيتوروس)

في ذلك نتيجة لعدم معرفة العلماء لما يحدث داخل الثقوب الدودية من ضغوطات وهيجان للغازات السامة، مما يصعب من خطورة المواقع التي قد يتعرض لها من يفكر في السفر عبر الزمن ومن وجهة نظر فيزيائية، إن السفر عبر الزمن للمستقبل ليس مستحيلاً على الإطلاق وفي الواقع هذا ما يحدث في جميع الأوقات، ولكن السفر عبر الزمن نحو الماضي هو ما يعتبر أكثر صعوبة واستحالة، فوفقاً لأستاذ الهندسة الميكانيكية الكمية سيث لويد من معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا فإنه يمكن السفر عبر المستقبل بمعدلات مختلفة، ولكن السفر نحو الماضي فهو موضوع مثير للجدل، ومن الأمثلة الحقيقية على السفر عبر الزمن هي الأقمار الصناعية لنظام تحديد الموقع العالمي، حيث يساعد تمدد الوقت كما وصفته نظرية أينشتاين النسبية في سفر الأقمار الصناعية عبر الزمن، وذلك أنه كلما تحرك الجسم بشكل أسرع نسبة إلى كائن آخر كان الوقت أبطأ وبما أن الأقمار تتحرك حول الأرض بسرعة 14 ألف كيلومتر في الساعة فإن هذا يؤدي إلى تقليل سبعة ميكرو ثانية من ساعات العمل يوميا بالنسبة إلى الساعات على الأرض¹.

ويؤكد العلماء أن السفر عبر الزمن يتم بمعدلات مختلفة إلا أن السفر نحو الماضي يبقى غير ممكن، وأن السفر عبر الزمن متمثل في تحقيق أهداف استراتيجية كوضع الأقمار الصناعية المحددة للموقع العالمي، حيث أن الوقت يتغير مقارنة به في الأرض فيتمدد وهذا ما عرفته نظرية أينشتاين النسبية في سفر الأقمار الصناعية عبر الزمن حيث يعدّ عامل السرعة مهماً جداً.

فمن خلال نظرية الثقب الدودي يمكن للمسافرين العودة في الزمن للوراء، والتي تنصُّ على أن المعادلات صعب تحقيقها، ولكن أحد هذه الاحتمالات هو أن يكون السفر أسرع من الضوء بمعدل 299.792 كيلومتر في الثانية في الفراغ، ولكن من خلال معادلات أينشتاين فإن الجسم عند سرعة الضوء يكون له كتلة لا نهائية وطول يساوي

¹ غادة الحلايقة، السفر عبر الزمن حقيقة أم خيال، 15 أكتوبر، 2018م.

الفصل الثاني: الخيال والتخييل في رواية (عودة إلى غرناطة عبر ساجيتوروس)

صفر، وبهذا يبدو هذا مستحيلاً، وقد صرّحت وكالة ناسا أنه يمكن تحقيق ذلك من خلال خلق ثقب دودي بين النقاط في الزمان والمكان، في حين أنّ معادلات أينشتاين توفر لهم هذه الحسابات إلا أنّ هذه الحسابات ستتهار بسرعة كبيرة للمسافرين ولن تكون مناسبة إلاّ للجسيمات الصغيرة جداً، بالإضافة إلى أنّ التكنولوجيا اللازمة لإنشاء ثقب دودي غير متوفرة حالياً¹.

قد توجد احتمالات السّفر عبر الزمن بشروط معيّنة تصل إلى حد اللامعقول كأن تصل سرعة السّفر أسرع من الضوء، وهذا ما يؤكد استحالة السّفر، كما أنّ وكالة ناسا أعطت آمالاً بالسّفر لكن بخلق ثقوب دودية، وهي مهمة صعبة لعدم توفر التكنولوجيا اللازمة لذلك على الأقل في الوقت الحالي.

وعليه يبدو أنّ السّفر عبر الزمن لا يتحقّق إلاّ في الأفلام السينمائية، لأنّه مجرد خيال لا أساس له بالواقع، وتبقى فكرة السّفر عبر الزمن من أهمّ الأحلام التي تراود بني البشر إلى أن تتحقّق في يوم من الأيام، لأنّ العلم والتكنولوجيا في تطوّر مستمر قد تسمح يوماً ما بتحقيق الحلم.

2- فكرة السّفر عبر الزمن في الرواية:

كان سلمان وهو أحد الشخصيات الرئيسية في الرواية يعيش حالة من اليأس والقنوط نتيجة لهذا العالم الوضيع المليء بالنصب والاحتيال، وقد اسودّت الدنيا في نظره وكأنّها قد خلت من كل بهجة، يقول: "اسودّت الدنيا في ناظري ضجيجٌ صاخبٌ يسكن دماغي كأنّه صدى خلية نحل تعشّش بجمجمتي..."²، فهو دائم التفكير، ونفسه لاهثة مفزوعة من القلق والخوف الذي ينتابه من نهاية العالم، قد يكون المشي في بعض الأحيان أفضل الحلول حين يبدأ في التفكير في شر هذه البشرية "أحاول إفراغ ذهني من الأفكار

¹ غادة الحلايقة، السفر عبر الزمن حقيقة أم خيال، 15 أكتوبر 2018 . 2020 11.50 - 4-4 . Mawdoo3 .com

² خالد اليعودي، عودة إلى غرناطة عبر ساجيتوروس، ص 6.

الفصل الثاني: ————— الخيال والتخييل في رواية (عودة إلى غرناطة عبر ساجيتوروس)

السوداوية، لكن من دون جدوى، تنتشر أمواج الضباب الصامتة، وتنتشر في السماء بجميع المناحي...¹.

يرى أهل فاس يعيشون حياة طبيعية دون أدنى اكرات لما يحدث في البيئة من انتهاكات بفعل تلك المصانع الملوثة للبيئة ويتساءل "أهي المصانع التي سمّمت بيئتنا أم النرجيلات التي انتشرت في بلادنا انتشار الفطريات؟"²، وتتوالى عليه الأسئلة المحيرة التي لا يجد لها إجابة مقنعة "ماذا أفادت البشرية من هذه الطفرة التقنية، إذا كنا جميعا نسبح ليل نهار في هذا المحيط الملوّث؟"³. كان سلمان يتجوّل في مدينة فاس ويرصد تحركات السكان واحدا تلو الآخر ويحمد الله أنه لم يكن من تلك الزمرة التي لا تملك في حياتها سوى الأحلام، فيرى العولمة وقد أثّرت على حياة السكان "الكثير من ساكنة هذا العالم بهم مسّ تتباين درجاته بمعاناة من آثار العولمة المجحفة يعضون الكراهية بعدما غدا الغني يأكل الضعيف بموجب موثيق دولية"⁴، وقد كانت غرفته الملاذ الوحيد الذي يجعله ينعم بالصفاء والابتعاد عن منغصات الحياة "غرفتي هاته أنعم فيه بلحظات من السكينة تؤنس وحدتي وانعزالي بين زواياها يمكنني من الصفاة عن كدر هذا العالم"⁵، ومن هنا بدأ سلمان يفكّر في المغادرة لهذه البلاد، لكن كيف ذلك؟، وقد كانت فكرة العودة إلى شيخ المؤرخين المآل الوحيد الذي كان يصبو إليه "ترى هل يمكنني السّفر إلى جواره من إطفاء اللّهب الساري بين ضلوعي؟"⁶، فقد كان السّأم يداً ربانية يسّرت له أسباب رحلته الفضائية إلى بلد الأجداد الغابر، وبينما سلمان في البيت يطّلع على الأخبار اليومية لفت انتباهه الكشف عن معطيات جديدة بخصوص الثقب الأسود ساجيتوروس الموجود

¹ خالد اليعبودي، عودة إلى غرناطة عبر ساجيتوروس، ص 6.

² المصدر نفسه، ص 7.

³ المصدر نفسه، ص 7.

⁴ المصدر نفسه، ص 7.

⁵ المصدر نفسه، ص 8.

⁶ المصدر نفسه، ص 8.

الفصل الثاني: ————— الخيال والتخييل في رواية (عودة إلى غرناطة عبر ساجيتوروس)

بالمنظومة الشمسية، وبعد انتهائه من الاطلاع على مجمل الأخبار ولج إلى غرفة أبيه التي كانت مرتصّة بالمصنّفات التي لم يطرح عليها أي تغيير سوى الغبار الجاثم فوق تلك الكتب، وقد استرعى انتباهه وجود "صندوق من الورق المقوى مغلق أحسن تغليق بشريط قرمزي كتب على واجهته بخط أندلسي رفيع عبارة أرشيف ابن سالم"¹، فمدّ يديه وأنزل الصندوق تملّكته رغبة ملحة لاكتشاف محتوياته لأنه أوّل مرّة يراه بغرفة والده، وقد انتابته مجموعة من التساؤلات عن فحوى هذا الصندوق "بداية أغلقت الغرفة بالمفتاح لأبعد سويعد والتخلص من فضوله، فهو يسجلّ بذاكرته التصويرية كلّ مجريات الأمور"²، وجد سلمان إثر فتحه للصندوق كتب صفراء ظنّ أنّها مخطوطات ترجع إلى زمن بعيد لكن خاب ظنّه حين وجدها حديثة الطبع ترجع لهذه الألفية، وقد كانت من تأليف جده الأكبر ابن سالم وتحت هذه الكتب وجد "ملفا قرمزيا بداخله رسالة مسهبة مكتوبة بخط أندلسي بارز، بمداد السمق، تحلّ عدّة صفحات من ورق أخضر يجثم بقاع الصندوق..."³، تناول المخطوط وقرأ ما بداخله فإذا هي نتف من الذكريات لجده بن سالم قضاها برحاب الجامعة الفاسية، جاء فيها على لسان الأستاذ "...نحن في أمسّ الحاجة في هذا العصر الغريب عصر تتالي النكسات إلى ابتعاث مفكّر قادر على تصحيح مسار قراءات أفكار ردها عالم العمران ابن خلدون بمجالس الدرس والتحصيل بجامع القرويين، وبالمدرسة البوعنانية التي حرص سلاطين بني مرين على عقدها منتصف المائة الثامنة للهجرة بفناءات الجوامع وبلاطات قصور فاس الجديد"⁴، فقد أتهم ابن خلدون من طرف بعض الدارسين بالتقاعس "بتزايد إقبال رجالات الفكر بعهدده على الزهد والتصوف الطريقي"⁵، كما قام بعض الجاحدين بتأويل آرائه بحسب ما تقتضيه أهوائهم،

¹ خالد اليعبودي، عودة إلى غرناطة عبر ساجيتوروس، ص11.

² المصدر نفسه، ص12.

³ المصدر نفسه، ص12.

⁴ المصدر نفسه، ص14.

⁵ المصدر نفسه، ص14.

الفصل الثاني: ————— الخيال والتخييل في رواية (عودة إلى غرناطة عبر ساجيتوروس)

فما أصدق فكره حين تقابله بين ثلاث طبائع لأجيال متلاحقة زمنياً: "جيل فاس الخلدونية، وجيل فاس عهد الجد ابن سالم كاتب هذه الذكريات، وجيل فاس الراهنة التي تتأهب على قدم وساق لتخليد ذكرى ألفية ابن خلدون"¹، وقد كان سلمان يتوق بكلّ جوارحه إلى معاصرة شيخ المؤرخين يأخذ من علمه الغزير وأفكاره النادرة في علم العمران وغيره من العلوم التي حظي بها شيخ المشايخ، ويواصل الأستاذ محاضراته قائلاً: "وتعلموا يا طلبة فاس الأشاوس ممّا أسهم في بلورة نظريات ابن خلدون العمرانية وإشعاعها في عصر بدأت فيه عظام الأمة تتآكل، معاشرة هذا العالم النحرير لمختلف طوائف العلماء والأخذ عنهم بكلّ دماثة خلق، ومن دون أي مركّب نقص"²، فعمله في القضاء مدّة زمنية لا يستهان بها ومعرفته لأمر حياتهم وانشغالهم بأمر الدنيا واختلاطه ببعض القبائل في سفرياته من قبل سلاطين بني مرين بهدف كسبهم وحيازة ولأئهم، بالإضافة إلى اطلاعه على حياة الناس في القرى والمداشر وما يجعلها مختلفة عن حياة المدن المليئة بالسكان وصور الرخاء، وقد تعرّض سلمان لفكر ابن خلدون بالدرس والنقد ورصد مجالات الأعمال والإهمال وقد آلمه سبق الغرب في اكتشاف نظراته الثاقبة بخصوص طابع العمران بينما كان أجدادنا غارقون في نوم عميق.

وبعد الانتهاء من قراءة مخطوط الجد "أيقنت... أنّ رغبته في لقاء ابن خلدون ما هي إلا رغبة ملّحة في الخلاص من موبقات عصره، والعودة إلى بريق الماضي الذهبي المتوهّج بالعطاءات الخالدة في ذاكرة التاريخ، فلأعمل منذ اليوم على تحقيق رغبته مهما كلف ذلك من جهد وتضحيات"³، فالسأم والقنوط من هذا العالم الوضيع في نظر سلمان هو ما جعله يفكر في السّقر بالإضافة إلى مخطوط الجد ابن سالم، فقد كانت لجدّه نفس رغبته في الالتقاء بعالم العمران ابن خلدون رغبته في الخلاص من برائن عصره والعودة

¹ خالد اليعبودي، عودة إلى غرناطة عبر ساجيتوروس، ص14.

² المصدر نفسه، ص15.

³ المصدر نفسه، ص19.

الفصل الثاني: ————— الخيال والتخييل في رواية (عودة إلى غرناطة عبر ساجيتوروس)

إلى الماضي العريق؛ لذا قرّر سلمان تحقيق رغبته ورغبة جدّه في نفس الوقت في السّفر إلى عصر الأجداد والالتقاء بابن خلدون وتخليص سيرته من الشوائب مهما كلف ذلك من جهد.

3- وسيلة الانتقال (وصف مكونات آلة الزمن) :

مما لا خلاف فيها أنّ السّفر عبر الزمن والعودة يتطلّب جهازاً أو آلة زمنية لنقل صاحب الرحلة إلى المكان الذي ينوي أن يحطّ الرّحال فيه، فعبارات الزمن واحدة من عجائب هذا العصر التي تفوّقت بخصائصها على باقي آلات الزمن التي سافر على متنها الفضائيون الغربيون أنفسهم، أمّا عبارة سرير فهي واحدة من غرائب هذا العصر "وهي بمقعدين زجاجيين من النوع غير القابل للكسر أو الانصهار، جاهزة للرحلات الطويلة وتمتاز بسرعة فائقة، تبلغ قوّة كلّ محرّك من محرّكاتها الثمانية 3600 حصان... محرّكاتها الأربع بالأمام مخصّصة للدّفع والإقلاع العمودي، والأخرى المتبقية للتخليق والدّفع في مختلف الاتجاهات، وتتوفّر العبارة على محرّكين بديلين، لا يتجاوز وزن الواحد منها ثمانية كيلوغرامات وهما محرّكين احتيابيين يمكن تشغيل أحدهما في حال تعطلّ أحد المحرّكات الرئيسية، ولا بدّ من الإقرار أنّ وقود المحرّكات المتطوّر "البلازما" هو الذي مكّن المهندس سرير من الوصول بسرعة العبارة إلى سرعة الضوء والاستغناء عن قوّة الدّفع في انطلاقتها وقد أسهمت الجاذبية القوية المنبعثة من ساجيتوروس في تحقيق هذه السرعة"¹،

ولولا كلّ هذه العوامل لما استطاع سرير الوصول إلى مبتغاه في مدّة أربع سنوات من الإبحار في عالم البحث والتقصّي عن كلّ جزء من هذه العبارة، كما تمتلك هذه العبارة أيضاً "مصدر طاقة إشعاعي خاص فيها لتوليد طاقة البلازما من أشعة الشّمس ولو كانت على بعد مليون سنة ضوئية، وفي حالة ابتعاد المركبة عن الشّمس بمسافات أبعد يمكن لمحرّكاتها أن تستمدّ مئات الواطات في الثانية الواحدة من الإشعاعات الكونية المنبعثة في

¹ خالد اليعودي، عودة إلى غرناطة عبر ساجيتوروس، ص22.

الفصل الثاني: الخيال والتخييل في رواية (عودة إلى غرناطة عبر ساجيتوروس)

الفضاء عن طريق التحلل الإشعاعي لكرات الهيدروجين والبلوتونيوم، وهي تخزن بمستودعين احتياطين مثبتين بمؤخرتها مخافة اصطدام هذه الأشعة الحارقة بجسم العبارة¹، وقد قام سرير بتصميمها بشكل "تمكنا أشعة الليزر من إبعاد الإلكترونات عن الذرات الموجودة بالفضاء لتشحن كهربائياً بمجرد ما تكون على مسافة كيلومترين من العبارة مع إبعاد الحقل المغناطيسي الذي تتوفر عليه المركبة لجميع الذرات المشحونة، وسوقها مباشرة نحو المحركات..."²، والوقود الذي تستهلكه لا يتجاوز 13 غرام من البلازما لألف كيلومتر هذا ما يظهر مدى اقتصاد محركاتها في حرق الوقود الضروري لاشتغالها، كما أن طاقة البلازما تتولد آلياً، وقد انكبّ عليها سرير لأشهر عديدة في تطوير محركاتها إلى أن جعلها تدور 300 دورة في الثانية حتى يمكنها من إنتاج ضغط عالي ضروري لضخ الوقود في مكانه المناسب، كما أن محركات العبارة لا تحدث أصوات مزعجة، بالإضافة إلى أنها لا تثير من ورائها تلك النيران المحرقة فكل ما تتركه مجرد سحابة خفيفة من الدخان، ويؤكد سرير أن محركات العبارة لا يمكنها أن تنفجر لأن نصف وقودها صلب ونصفه سائل، فهو غير ملوث للجو وغير قابل للتفريع، بالإضافة إلى أن "هناك بلوحة القيادة مراقب الكتروني يومض وينطفئ، وظيفته الأساس تتبّع سير عمل المحركات وصمّامات التبريد وسائر أجهزة العبارة"³، ويرى سرير أنه كلما خفّ وزن المركبة قلت كمية الوقود المستهلك وكلما كبر حجمها زاد عدد الأشخاص القائمين على تشغيلها "وعلى الرغم من توفر المركب على مقعدين فإنني لم أجد داعياً لمصاحبة سويعد ولا لأي مرافق آخر فحواسيب العبارة تقوم بالقيادة على أمثل وجه..."⁴، ولم يرى سلمان داعياً إلى اصطحاب مرافق يشغله عن تتبّع الرحلة العلمية بكل تفاصيلها، فهو لا يريد أن تغيب عليه شاردة أو واردة، وقد "بُطن داخل العبارة بطبقات سميقة من السيراميك،

¹ خالد اليعودي، عودة إلى غرناطة عبر ساجيتوروس، ص22.

² المصدر نفسه، ص22.

³ المصدر نفسه، ص23.

⁴ المصدر نفسه، ص23.

الفصل الثاني: ————— الخيال والتخييل في رواية (عودة إلى غرناطة عبر ساجيتوروس)

مغطاة بصفحات مكوّنة من انصهار المعادن الخفيفة المخلوطة، وبمواد رقيقة حديثة الصنع، كألياف الكربون المضادة للاحتراق المانعة من ارتفاع درجات الحرارة وانخفاضها، وكذا لارتفاع الضغط الجوي وانخفاضه، وهي مبرمجة حاسوبيا للتكيف مع سائر المتغيّرات الحرارية وسرعة الرياح¹.

لقد كانت العبارة مجهزة بكلّ المعدّات التكنولوجية المتطورة فهيكلا النخروبي مكوّنة من مادة البورسلان والتيتانيوم، وهي مواد أقوى من الحديد تتميز بخفة الوزن وشدة الصلابة وسهولة التشكيل، وهي مغطاة من الداخل والخارج بصفائح الألمنيوم والبلاستيك المقوى بألياف كربون خاصّة، مصمّمة بصفائحها هاته والمشحونة بتيارات الليزر لتتفادى الأشعّة الكونية السابحة فوق الغلاف الجوي². كلّ هذه المواصفات المتناهية الدقّة لحماية ركّابها من مخاطر الأشعّة الضارة والمتمثّلة في الغازات السامة السابحة في الجو، وقد كانت الأشعّة مصدر قلق للأسلاف، لأنها كانت تخترق المعادن وتسبب الهلاك لرواد الفضاء إلى أن اكتشف واقي الليزر لتجنب آثار هذه الأشعّة، ومن مميّزات العبارة أيضا أنّها "عبارة شبح لا يمكن كشفها بالرادارات ولا بالأقمار الصناعية، جناحها مركّب من قطعة واحدة يبلغ طوله 12 متر مقابل متر ونصف عرضا، به تركيبات لحفظ التوازن والتوجه والارتفاع..."³، هذه العبارة جُهّزت خصيصا لتحمل درجات الحرارة مهما كانت مرتفعة أو منخفضة فلا خوف على المحرّك، بالإضافة إلى أنّها تحتوي على جهاز تسخين داخلي للمحرّكات في حالة الاصطدام بجو جليدي كما لها القدرة على الحركة بالفضاء المليء بالغازات مثلما هو في كوكب المشتري، كما يمكنها أن تتحوّل إلى قارب في حالة تعرّضها إلى مشكلة تقنية تمنعها من مواصلة مسيرتها، كما يمكنها أن تتوقّف على الوحل أو الحصى دون أن تتأثّر بدخول الوحل إلى أجزائها فهي

¹ خالد اليعبودي، عودة إلى غرناطة عبر ساجيتوروس، ص23.

² المصدر نفسه، ص23.

³ المصدر نفسه، ص23.

الفصل الثاني: الخيال والتخييل في رواية (عودة إلى غرناطة عبر ساجيتوروس)

نموذج لتكنولوجيا لا تحدّها حدود، وهي متوفّرة أيضا على الكثير من المعدّات العلمية المستفيدة من الأشعّة فوق البنفسجية "وأجهزة قياس الجسيمات المشحونة بالحقول المغناطيسية وإشارات الراديو الصادرة من السفن الفضائية المرتحلة...، علاوة على العديد من آلات التصوير دقيقة الصنّع يمكنها أخذ آلاف الصور للجزر الكويكبية بمجراتنا وبالمجرات الأخرى"¹.

نخلص إلى أنّ السّفر عبر الزمن يُعدّ أحد أهمّ محدّدات رواية الخيال العلمي، حيث لا يتحقّق هذا السّفر في إطاره التخيلي إلّا بوجود آلة تمكّن شخصية الرّواية من الانتقال عبر الأزمنة لغرض ما، إنّ هذا الانتقال هو آلية الرّوائي في الولوج إلى عوالم تخيلية تشكّل محض أحداث الرّواية وتطورّها ويكشف وصف آلة الزمن في هذه الرّواية عن مجال واسع من التخييلات العلمية التي تحقّق فرضية الانتقال إلى الزمن الماضي.

4- ظروف الانتقال (وصف الرحلة العلمية):

كثيرا ما كان سلمان يتوق إلى لحظة خروجه من بلده إلى بلد الأجداد في رحلة العمر، وهاهو اليوم الموعود قد جاء فانطلقت مركبته انطلاقا صاروخيا تشقّ عنان السماء تاركة خلفها سحابة خفيفة من الدخان لا تلفت انتباه أحد، وهاهي تسير بسلام بعد اجتيازها الغلاف الجوي الذي يحتوي على الأوزونوسفير مكان تجمّع الأوزون، وهي غازات سامّة إذا تعرّض لها الإنسان فإنّه سيهلك لا محالة، فالعبارة كانت تسير بسرعة الضوء، وبدون هذه السرعة لا يمكن أن تتم الرحلة بنجاح، لقد كان الفضاء مليء بأجرام سماوية هائلة تتجاوز سرعتها سرعة دوران الأرض، كما تنتشر العديد من المذنبات والنيازك والنجوم والكواكب "فمن المجحف حقا أن نغفل المذنبات والنيازك، فالمذنبات تبدو كأجسام جليدية تحيط بالنظام الشمسي..."²، وبعد مرور ثواني فقط من الانطلاق حلّق سلمان فوق القمر الذي لا يغدو أن يكون خاضعا للأرض منذ ملايين السنين، فهو توأم الأرض لا ينفصل

¹ خالد اليعبودي، عودة إلى غرناطة عبر ساجيتوروس، ص 25

² المصدر نفسه، ص 48.

الفصل الثاني: الخيال والتخييل في رواية (عودة إلى غرناطة عبر ساجيتوروس)

عنها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، هذا القمر الذي هام به الشعراء فتغنوا بوصف جماله وبهائه إلى غاية اكتشاف حقيقته التي لا تعدو أن تكون حُفرا وكتباناً...، فغياب الماء والهواء بهذا الكوكب "أسهم في حفاظ القمر على تضاريسه طوال عمره المديد وصدّها عن التآكل"¹، فأبي جسم يصطدم بالقمر يُغيّر في شكله مهما كان صغيراً بل حتى لو كان مجرد غبار في الفضاء يبدو من خلال الرؤيا أنه لا حياة على سطح القمر عدا وجود بعض القواعد التي وضعها الإنسان للاستفادة منها، كما تظهر آثار التقيب جلية بفعل الإنسان، على شاشة الحاسوب تظهر "صور مكبّرة لحافّات الأحواض الكبيرة ومحيطها الذي تشكّلت به الجبال كسلسلة جبال أبيناس المتميّزة بكثرة الصّدوع والشقوق..."². كان سطح القمر يغص بالحفر التي يمكن رؤيتها بالمرصاد من الأرض وأيضاً الكثير من الحفر العميقة، أمّا بكوكب المريخ فقد لاحظ سرير عن طريق المنظار الذي يرصد الصور من مسافات بعيدة جداً وجود المستنبتات الزجاجية للمزروعات على سطح المريخ، كما لاحظ الروبوتات تستخرج المعادن من صخور هذا الكوكب، فالمريخ "لا يقلّ غرابة عن سائر كواكب درب اللبّانة بلونه الأحمر المشعّ وبسمائه المائلة إلى اللون الأصفر الوردي وبتعرّج مداره، وظهور ما يشبه القنوات على سطحه، وانتشار الأخاذيد العميقة والفوهات البركانية الخامدة على طول بنيته"³، فالمريخ أقرب الكواكب إلى الأرض بعد القمر، وهو بقمرية الصغيرين اللذين يفتنيان أثره "به قطبان متجمّدان وتجري به غيوم بيضاء من أقصاه إلى أقصاه، يتغيّر مناخه بحسب الفصول، وتتماثل نسبة سرعة دورانه مع نسبه دوران كوكبنا الأزرق"⁴، فدرجة حرارته أقل من درجة حرارة الأرض وهواءه يتكوّن أغلبه من ثاني أكسيد الكربون، وقد أغرى هذا الكوكب الكثير من السيّاح إلّا أنّهم يرتعبون خوفاً من اصطدام قمره فوبوس، والسيّاح الذين وصلوا إليه كانوا يتعجبون

¹ خالد اليعودي، عودة إلى غرناطة عبر ساجيتوروس، ص52.

² المصدر نفسه، ص53.

³ المصدر نفسه، ص54.

⁴ المصدر نفسه، ص55.

الفصل الثاني: الخيال والتخييل في رواية (عودة إلى غرناطة عبر ساجيتوروس)

لتضاريسه" فجباله تعدّت مرتفعات إفريست ثلاثة أضعاف¹، أمّا وديانه فهي جافة ولا مثل لها مقارنة بالنيل والأمازون، وعن براكينه فهي أضخم من براكين الأرض بخمسين مرة، وقد يعتبر الإنسان هذا الكوكب بأنّه توأم الأرض بدل الزهرة لاقتراب حجمه من حجم الأرض واقتراب ساعاته اليومية من ساعات الأرض مما جعل الإنسان يكثر من المحطّات الفضائية بسطح هذا الكوكب، لكن تبقى مشكلة الماء بهذا الكوكب الشغل الشاغل للكثير من العلماء، مع أنّ السبب ظاهر وهو مشيئة الله تعالى بأن يجعل الأرض وحدها مختصة بشروط الحياة.

أمّا كوكب المشتري فقد كان ضخماً غطى الشمس لكبر حجمه فهو "كقرص ذهبي متوهّج يغري بدوره بالاقتراب منه بسواره الأصفر اللّامع، وبحزامه الوسطي المضيء، والذي يشعّ ألوانا يبرز بينها الأصفر الباهت والأحمر القاني... وجنوبه مكفّهرة يتدرّج لونها من البني إلى الأزرق المعتم²، فهو من شدة ضخامته يستغرق اثني عشر حولا للدوران حول الشمس، لكنّه مقارنة بالشمس فهو صغير جدا، والحياة على سطح هذا الكوكب تبدو منعدمة لأنّه كرة غازية تتكوّن في معظمها من الهيدروجين والهيليوم، أي لا وجود لسطح صلب يمكن الوصول إليه، وكل ما يراه المحلّق فوق أجوائه مجرد دوّامات وعواصف وأحزمة³، فهذا الكوكب عملاق وأجواءه متقلّبة، فهو يدور حول محوره في أقل من عشر ساعات، وحرارته كبيرة تصدر من مركزه، فهو يكبر الأرض بعدّة مرات له أكثر من قمر مخصص لخدمته، لكن تبقى استحالة الحياة عليه، بل الموت مصير كل من يحاول الرسو بسطحه بسبب الحرارة المرتفعة فيه وجوّه السّام .

وتستمر الرحلة بحلوها ومرّها إلى غاية استشراف زحل، فطبقاته بعضها يلمع في الأفق وبعضها الآخر قاتم لا يرى بالمنظار لصغر سمكها، وهذا أيضا ممّا أثبت استحالة

¹ خالد اليعبودي، عودة إلى غرناطة عبر ساجيتوروس، ص55.

² المصدر نفسه، ص57.

³ المصدر نفسه، ص57.

الفصل الثاني: ————— الخيال والتخييل في رواية (عودة إلى غرناطة عبر ساجيتوروس)

العيش على سطحه لقوة رياحه وضغطه الجوي المرتفع جدًا مع قلة الأكسجين به وكثافة الضباب على سطحه .

وتواصل العبارة مسيرتها وصولاً إلى أورانوس الذي يبدو للرائي أنه كتلة من الغاز، فهو يحتل المرتبة الثالثة بعد زحل، ولأنه بعيد عن الشمس يظهر لمن يراه ذو حجم صغير، به أربع طبقات من السحب "طبقة عليا بها ضباب دخاني من الهيدروكربون، وطبقة من الميثان، والهيدروجين، من هيدروكبريت الأمونيوم، وطبقة سفلى مكونة من الغاز السائل مع جلد موحل...¹"، فقد كانت أقماره تتحرك تحركات موزونة يبدو جماله من خلال تضاريسه فهي "مشوشة تكثر به الشروخ والندوب والشقوق والتصدّعات كأنه تعرّض لنكبات واصطدامات من جرّاء تحرّشات عابري الفضاء من النيازك...²"، وتواصل العبارة سيرها تمخر السماء بدخانها الخفيف وسرعتها المذهلة وصولاً إلى نبتون الذي سمّي بهذا الاسم لاكتسابه اللون الأخضر الباهت الذي يضاهي لون البحار، وجوّه غني بغاز الميثان فهو شديد البرودة نتيجة ابتعاده عن الشمس فهو "لا يحظى سوى بخدمة قمرين يسيران في ركابه يخفّرانه ليلاً نهاراً، وهما تريتون الضخم ونيريد الضئيل"³، فقد تمكّن الإنسان منذ قرون من اكتشاف هذا النجم البعيد اعتماداً على حسابات رياضية دون الاعتماد على مرصد فلكي، فقد لاحظوا تحركه في مساره كأنّ هناك كوكبا آخر يؤثّر عليه .

وتستمرّ الرّحلة عبر الفضاء الواسع والعبارة تسير بسرعة الضوء إلى غاية محاذاتها لكوكب بلوتو فهو أكثر الكواكب بعداً عن الشمس، لهذا فجوّه شديد البرودة شبيه بجو نبتون نوعاً ما، وقد تبيّن للعلماء أنه ليس كوكباً كما أنه ليس نجماً فهو بينهما، وبابتعاده عن الشمس يبدو كضوء صغير في سماء شديدة السواد "فما أحلك الطبقة الكثيفة

¹ خالد اليعبودي، عودة إلى غرناطة عبر ساجيتوروس، ص 61.

² المصدر نفسه، ص 62.

³ المصدر نفسه، ص 64.

الفصل الثاني: ————— الخيال والتخييل في رواية (عودة إلى غرناطة عبر ساجيتوروس)

التي تغطيه من الغازات السائلة والمتجمّدة من الأمونيا والميثان وسائر المركبات الأخرى الموجودة بالفضاء الكوني...¹، وقد احتار العلماء في تصنيفه هل يعدّونه كوكب من كواكب المجموعة الشمسية أم أنه مجرد كويكب خاضع لنبتون .

وتسير العبارة مواصلة طريقها فتبدو مجرّتنا لوحة فنية رائعة في تناسق كواكبها وانتشار نجومها دليل على قدرة الخالق جلّ جلاله، فهو الذي يحمي كوكبنا من الكوارث التي تحدث مرارا وتكرارا بأفلاك أخرى، وهو الذي جعل الحياة ممكنة بتوفّر كلّ شروطها بكوكبنا الأزرق الجميل، كما أنه جنبنا الكثير من الاصطدامات المهلكة لنا، إنه الله الذي وسعت رحمته كل شيء .

وأخيرا تصل العبارة إلى فوهة الثقب الأسود، كان مليئا بموجات تجاذبية كبيرة تتبعث على شكل دوامة، كانت قويّة جدّا جعلت العبارة تتقلّب "وتتمرّع تمرّع الدابة في عواصف الصحاري المهلكة"².

كان هذا الثقب مظلمًا ظلما حالكا تلوح منه بعض ومضات لبقايا نجوم مفتتة، فجاذبية هذا الثقب بإمكانها التهام المجموعة الشمسية بأكملها هذا في حالة اقترابه منها، فقانون الغابة امتدّ إلى الفضاء أيضا، فقد "اختفت مجرّة اندروميديا بالتّمّام والكمال بعد ابتلاعها من قبل ثقب أسود ترعرع في أحضانها منذ مليوني سنة"³.

فلغز ساجيتوروس فُكّت عقده منذ بدأ الفلكيون يرصدونه ويكتشفون ما خفي من خباياه، وبعد أن كان افتراضيا غدا حقيقة لا شكّ فيها يقصده رواد الفضاء آملين العبور من خلاله إلى عوالم أخرى .

¹ خالد اليعبودي، عودة إلى غرناطة عبر ساجيتوروس، ص 67.

² المصدر نفسه، ص 76.

³ المصدر نفسه، ص 78.

الفصل الثاني: ————— الخيال والتخييل في رواية (عودة إلى غرناطة عبر ساجيتوروس)

تعطّل جهاز إرسال العبارة نتيجة ارتفاع الضغط وهذا ما تظهره التحذيرات التي صدرت من أجهزة العبارة "وفي هذه الأثناء بدت لي من بعيد أضواء الثقب الأبيض البراقة تنبثق من مركز ساجيتوروس وتتطلق مندفعة إلى الخارج".¹ سارت المركبة متوجّهة إلى الثقب الأبيض، فتجاوزها لسرعة الضوء مكنها من الخروج من المخاطر التي كانت تحقّق بها.

توقّفت العبارة قليلا فوق الثقب الأبيض منتظرة نتائج راصد الأطياف "شرع الرّاصد يومض ومضات سريعة، وبرق ضوء أحمر خافت بمطران الرّاصد علمت أنّ الهدف المنشود قد تمّ رصده"²، ثمّ غيرت العبارة اتجاهها وهي تتراجع بنفس تراجع الساعة على شاشة حواسيب العبارة مواصلة سيرها إلى غاية إيجادها المخرج المناسب، وأخيرا الوصول إلى غرناطة الأجداد.

فبعد الأهوال التي تعرّض لها سلمان في عبور ساجيتوروس وصل أخيرا سليما معافى إلى مبتغاه يحذوه الأمل في لقيا شيخ المؤرخين (ابن خلدون).

سادسا: الخيال العلمي كآلية لإعادة كتاب التاريخ:

يستهلّ الرّوائي روايته بدفاع مستميت عن ابن خلدون وما يتعرّض له من انتهاكات حيكت ضده، بسبب تركه بعض الثغرات التي لجأ إليها الوصوليون لتأويل ما لم يقصده، حيث طوال روايته أحداث الرواية لم يغفل عن ابن خلدون، وذلك على لسان الشخصية الرئيسية التي جعلها من أكثر المتشوّقين والمحبّين لابن خلدون ما جعله ممن يبحثون على خلاصه من كلّ الشوائب...". يمكن لدرر أبي زيد عبد الرحمن ابن خلدون أن تتخلّص من الشوائب التي علقت بها طيلة هذه القرون".³

¹ خالد اليعبودي، عودة إلى غرناطة عبر ساجيتوروس، ص 81.

² المصدر نفسه، ص 96.

³ المصدر نفسه، ص 14.

الفصل الثاني: ————— الخيال والتخييل في رواية (عودة إلى غرناطة عبر ساجيتوروس)

فشيخنا رغم المصائب الكثيرة التي تعرّض لها من طرف بني مرين وصل به الأمر إلى حدّ السّجن، فقد بذل العديد من الجهود في سبيل إعلاء راية الإسلام أوّلاً ولمّ شمل المسلمين وتوحيد كلمتهم أينما حلّ وارتحلّ إلّا أنّ بعض المنافقين جعلوا "عالمنا وصولياً ومنافقاً سياسياً من الطراز الرفيع".¹

فما أصدق هذا العالم الجليل وهو يقول: "من الغلط الخفي في التاريخ، الدهول عن تبدّل الأحوال في الأمم والأجيال بتبدّل الأعصار ومرور الأيام...".² فقد قام العديد من الدّارسين بمقارنة أعمال شيخ المؤرّخين بعلماء هذا العصر لما كان عليه فكر هذا الرجل من أهمية كبيرة "قنمة زمرة من الدّارسين... يناظرون بين إنجازات شيخنا الجليل وإنجازات منتسكيو أحياناً، وأعمال فوكو أحياناً أخرى، أو بين مقدّمة العير الشهيرة وإصدارات دوركهائم أو تايد أو مالتوس، أو ميكافلي...".³

ولاشك أنّ وصول ابن خلدون لهذه المعارف هو عمله بالقضاء في دولة بني مرين فترة لا يُستهان بها فتحت له خلالها مكتبة السلطان يتبوأ منها حيث يشاء، وكذلك اطّاعه على أمور الناس وحياتهم ووما يشغلهم، وكذلك احتكاكه برؤساء بعض القبائل في وفادته من طرف سلاطين بني مرين، وكذا معرفته لحياة الناس بالقرى والمداشر والجبال والفرق بينها وبين المدن، كلّ هذه الظروف جعلت منه عالماً جديراً بالاحترام والتبجيل، بفضل نظراته التي استغلها في علم العمران .

فقد أبدى الرّوائي موقفاً خاصاً تجاه شخصيّة ابن خلدون وكلّ ذلك من أجل استرجاع كرامة هذا العالم الجليل، وإيفائه حقه من الاحترام والتقدير والتبجيل ودحض كلّ الادّعاءات الموجهة ضدّه للنيل منه، وإرغام حسّاده على الاعتراف بفضله رغماً عنهم. الشّخصية الثانية التي أولاهها الرّوائي عناية خاصّة ألا وهو ابن الخطيب، الذي يعتبر من

¹ خالد اليعبودي، عودة إلى غرناطة عبر ساجيتوروس، ص14.

² المصدر نفسه، ص14.

³ المصدر نفسه، ص15.

الفصل الثاني: الخيال والتخييل في رواية (عودة إلى غرناطة عبر ساجيتوروس)

رجال الدولة، فهو سياسي من الطراز الرفيع، وأديب غصت الدنيا بأشعاره وبمؤلفاته، "الفريد من نوعه تشهد على تضلعه وثقافته المترامية الأطراف الكتب التي ألفها في شتى الميادين: في التاريخ والأدب والتصوف والفلسفة، فهذا الممثل للسياسة والآداب بغرناطة النصرية كان شاعرا وموشحاً ومفلحاً، وإن ديوانه "الصيب والجهام والماضي الكهام" جاء تصديقا لكل ما قيل عنه"¹، وقد لقب بذي العمرين لأنه كان في النهار يدبر أمور مملكة غرناطة وفي الليل يعمل على التصنيف، كان ابن الخطيب مقرباً من بني الأحمر خاصة في عهد أبي الحجاج ابن يوسف وابنه محمد الخامس (الغني بالله)، مما جعله يعتلي منصبا مهماً أثار غيرة حساده للمكانة التي حظي بها عند الغني بالله، فبدأ الأعداء يدسون له الدسائس ويوغرون صدر الغني بالله عليه، فأحسّ ابن الخطيب بذلك مما جعله يرتحل إلى العدة المغربية من خلال ادعائه القيام بجولة تفقدية لإحدى المناطق، ودعا بني مرين للإغارة على مملكة غرناطة، حينها تأكد الغني بالله من خيانتها، وقرّر الانتقام منه بزجّه في السجن وتطبيق الحد عليه، فطلب من السلطان المريني إعادته إليه لكنه رفض، وبعد موت حاميه تعرّض ابن الخطيب للتتكيل وأدخل السجن.

من خلال هذه الشخصية المهمة يؤكد الروائي ما يتعرّض له من بعض الأشخاص الأوفياء والمخلصين في خدمة الدولة من تحريض وحقد وحسد من طرف الأعداء مما يجعلهم ممن ينسحبون أو يزجّ بهم في السجون دون مراعاة لظروفهم وملابسات قضيتهم وعدم الاكتراث لهم بإقامة محاكمة عادلة يوفى فيها كل شخص نصيبه مما اكتسب. ومما أثاره الروائي في هذه الرواية رداءة السجون وعدم توفرها على أبسط ظروف الحياة، وذلك من خلال استغاثة ابن الخطيب في سجنه "... أنه أحقر مكان شاهدته طوال عمري بجدرانه العارية الباردة المظلمة المتسخة بأكوام القش المبعثرة وبزنزانتها النتنة..."²، وكذلك جهالة السجناء وقسوة السجّانين.

¹ حمدان حجاجي، حياة وآثار ابن زمرك، ص35.

² خالد اليعبودي، عودة إلى غرناطة عبر ساجيتوروس، ص222.

الفصل الثاني: الخيال والتخييل في رواية (عودة إلى غرناطة عبر ساجيتوروس)

وبين الروائي ضرورة عزل السّجناء السياسيين عن غيرهم من السّجناء "كنت آمل أن أجد بالزنزانة رفيقا مغيرا، أحد من سجناء الكلمة، يشعر كالنا بكرب الآخر، ويسكب كلّ منا ما في قلبه من منغصات، لنملك زمام نفسينا المرتبكتين، فتعود لنا قوة الإيمان".¹ كما يبيّن الروائي من خلال الرواية أيضا قلة بصيرة السلاطين العرب وهم يتبعون الحاشية دون التفكير أو إعطاء الأمور حقّها من الفحص والتدقيق، ممّا يبيّن سوء تدبيرهم وعدم تمسّكهم بحكماء الأمة ومسيري دواليب الدولة.

الشخصية الثالثة التي أعارها الروائي اهتماما خاصا شخصية ابن زمرك، الذي كان أحد تلامذة ابن الخطيب، فقد حظي عنده بمكانة لا يستهان بها "وإنّ ابن الخطيب كأستاذ ابن زمرك في شتى الميادين لم يفته أن ينتبه إلى نكاه تلميذه ومواهبه الفطرية. ألم يقل في حقه: هو الفاضل صدر من صدور طلبة الأندلس وأفراد نجبائها... شعلة من شعل الذكاء... ثقيب الذهن، أصيل الحفظ... بعيد مدى الإدراك، جيّد الفهم".²

هكذا كان ابن زمرك في نظر ابن الخطيب، رفع له منزلته وجعله من المكرمين، لأنّه كان يرى فيه كل مواصفات التلميذ الناجح "فساعده معبدا له السبيل ومسقطا الحواجز أمامه فأوصله إلى البلاط المريني"³، ومن جهته كان ابن زمرك يتحلى "بالأخلاق المحمودة واللباقة وحسن المعاشرة... ويشهد له بالتقوى والتمسك بالدين، فكان يعدّ من الذين إذا ذكر اسم الله أمامهم فاضت عيونهم دموعا، ومن الذين يتصبّب جبينهم عرقا إذا استمعوا إلى الموعدة"⁴.

وقد كانت العلاقة بين غرناطة وفاس جيّده خاصة في عهد محمد الخامس وذلك بفضل جهود ابن الخطيب، لكن ابن الخطيب كان دائما غير مرتاح البال يخشى أن تحدث مشكلة فتضيع الأمور من بين يديه وهذا ما أدى به إلى أن ينظر إلى المغرب فيجد من

¹ خالد اليعودي، عودة إلى غرناطة عبر ساجيتوروس، ص 224

² حمدان حجاجي، حياة وأثار ابن زمرك، ص 35.

³ المرجع نفسه، ص 36.

⁴ المرجع نفسه، ص 36.

الفصل الثاني: ————— الخيال والتخييل في رواية (عودة إلى غرناطة عبر ساجيتوروس)

يساعد إذا اضطرَّ إلى ذلك، فعمل على إرضاء سلاطينه وتحقيق رغباتهم فأحبَّوه واكتسب المنزل الرفيعة عندهم، وعندما وقعت المحنة لجأ فارًّا إليهم فوجد الحماية من طرف السلطان أبي سالم، وقد أصبح ابن زمرك مسؤولاً عن قضية ابن الخطيب أستاذه ومعلِّمه والمحسن إليه منذ سنين عديدة "فوجد ابن زمرك نفسه في مفترق الطرق حيث كان عليه أن يختار أيّ طريق يخوضه... يبدو أن ابن زمرك لم يتردّد طويلاً حتى اختار فريق الغني بالله ضد لسان الدين"¹، فابن زمرك كان من الذين يقدرّون الشريعة ويكرهون الخيانة، فهو من الذين لا تسمح لهم أنفسهم بمؤازرة الخونة، وهذا ما جعل ابن الخطيب يتأسّف لذلك ويعيد ترجمة ثانية لكتابه (الكامنة) فقال: هذا الرجل والتصغير على أصله... مخلوقه من مكيدة وحذر... خبيث، إن شكر خدع ومكر، ودسّ في الصفوة العكر"². فقد ظهر مكر ابن زمرك وحقده على أستاذه مفضلاً المنصب الوزاري على معلِّمه وصاحب الفضل عليه وقد "عرف عنه مقتته الشديد لكلّ من أظنّب السلطان في شكره والرفع من مقامه... واشتهر بإكثاره من الولايم والأفراح..."³.

ما أراد الروائي إيصاله من خلال هذه الشخصية تتكرّر التلميذ للمعلّم رغم ما قدّمه له من مساعدات جمّة أوصلته إلى مكانة لم يكن يحلم بها، إلا أنه اختار الطريق الذي يخدم مصالحه. لم يتوقّف الأمر عند ذلك، فقد كان من أشدّ الحاقدين عليه فكان يوغر صدر السلطان عليه مع الحاشية الخبيثة إلى أن أوصل أستاذه إلى الموت المحتمّ. أراد الروائي أيضاً أن يوصل لنا بأنّ الدائرة ستدور يوماً فكما يقول المثل > يوم لك ويوم عليك <، وبالفعل بعدما تجرّب ابن زمرك وعلا في الأرض سقط الجدار الذي كان يستند عليه بقوة، فبعد موت الغني بالله تألم ابن زمرك وخشي على نفسه بعد أن تفتن لأفعاله

¹ حمدان حجاجي، حياة وآثار ابن زمرك، ص47.

² المرجع نفسه، ص48.

³ خالد اليعودي، عودة إلى غرناطة عبر ساجيتوروس، ص160.

الفصل الثاني: ————— الخيال والتخييل في رواية (عودة إلى غرناطة عبر ساجيتوروس)

الشيعة، لكنّ الخليفة الجديد أبي الحجاج ابن يوسف قام بوضعه في السجن، وهكذا تحققت العدالة الإلهية ف **كما تدين تدان**.

فالروائي نقل لنا أحداث تاريخية حقيقية مع إضفاء بعض الخيال عليها، فكانت أجمل ما يكون من حيث تصوير الشخصيات أو سيرورة الأحداث وتزامنها مع ما وقع من معارك، وانقلابات وفتن بين الإخوة في العائلة النصرانية تارة وبين الشعوب والسلطة تارة أخرى ما أوصل غرناطة إلى مصيرها المحتوم نتيجة تربّص النصارى بها وتداول حكام ضعفاء على السلطة جعلها لقمة سائغة في يد العدو.

الختامة

تم إنجاز هذا البحث من خلال فصلين عالج كل منهما مجموعة من القضايا تظهر في شكل إشكاليات مبتغاها هو الوصول إلى إبراز أهم الأحداث التاريخية سواء الواقعية أو المتخيلة من خلال جنس أدبي ينفرد بخصوصياته العلمية والأدبية ويكون فيه العلم ضرورة ملحة؛ لأن وجوده والأدب يعطينا أدب الخيال العلمي أما إذا أبعده العلم فهذا يعني اختفاء هذا الجنس الأدبي، وقد كان للثورة الصناعية التي ظهرت في القرن التاسع عشر دورا مهما في تبلور هذا النوع من الأدب الذي لم يعرف الاستقرار لأنه متجدد ويسعى أصحابه إلى المزيد من التجديد، وهذا حسب ما يقتضيه العصر وتقنيته الضرورية، فقد بدأ مع جول فيرن وتشعب وتعددت تسمياته ومفاهيمه لكن هذا لم يكن عيبا فقد كان في خدمة هذا النوع من الأدب، فمن أدب الخيال العلمي الفنتازي إلى الغرائبي إلى اليوتوبيا، ويعتبر أدب الخيال العلمي عند الغرب عنصرا أساسيا مكملا للحياة لما يقدمه هذا النوع من الأدب من رفاهية للبشرية بالنظر إلى فوائده عموما، ولهذا فامتزاج العلم بالأدب كان له أثره الإيجابي بالنسبة للأدب حيث أكسبه نوعا من الحيوية والنشاط والابتعاد عن الأساليب التقليدية التي تبعث على الروتين الفني، هذا الجنس الأدبي الذي أجبر الكثيرين على الاعتراف به وتبنيّه والخوض في غماره بالإيجاب في عوالم مستقبلية لا تخطر على بال أحد، وقد بلغ أدب الخيال العلمي في العصر الحديث درجة كبيرة من الرقي أكسبته أهمية بالغة خاصة في الدول الغربية التي احتوت على كل شروط وجوده وأهله لأن يرتقي من أدب تمارسه فئة هاوية إلى جنس أدبي رسمي معترف به وقد برمج حتى في المناهج الدراسية حتى يتسنى للطلاب معرفة خصائصه ومكونات بنائه ونستخلص من الدراسة النتائج التالية:

- أن رواية الخيال العلمي سواء المستندة إلى المرجعية التاريخية أو غيرها قد أثبتت وجودها معلنة مرحلة جديدة في تاريخ الأدب.
- فكرة السفر عبر الزمن ما هي إلا فكرة خيالية يستخدمها الروائي لإضفاء نوع من الإثارة والتشويق في نفوس القراء.

- أدب الخيال العلمي لم يحظ بتعريف شامل سواء عند الغرب أو العرب وذلك لأنه متغير يصعب وضع تعريف محدد له بالرغم من تعدد مفاهيمه.
- التاريخ هو أحد الشواهد على الحضارات السابقة، وهو مجموعة الأحداث التي مضت مخلفة آثارها في الحاضر والمستقبل.
- الرواية التاريخية كان محكها التاريخ وإضفاء الخيال عليها أكسبها ميزة فنية خاصة فهي تستنطق الماضي وتستخلص منه الفوائد والعبر.
- إن نجاة غرناطة من قبضة النصارى يرجع لحنكة بعض السلاطين ومسايرتهم للأوضاع الراهنة ما جعلها تحافظ على سلامتها لمدة قرنين ونصف من الزمن.
- الروائي جعل من غرناطة نموذجا في جميع المجالات من فن وحضارة ومنبعا للعلوم والآداب على غرار قرطبة أيام الأمويين.
- الفرقة والخلافات بالإضافة إلى ضعف الحاكم كانت دائما سبب في خذلان العرب وسقوط إماراتهم.
- الضغط على الشعوب من طرف الحكام يكون مآله نقمة الشعوب وسقوط الحكم.
- تقنن الروائي في تحديد ملامح الشخصيات من خلال البعد الفيزيولوجي لكل شخصية عكس لنا صورة جسمانية لكل شخصية من حيث الطول، القصر، لون البشرة ... ما يمكن القارئ من تمثّل شخصيات الرواية أمامه.
- يتحدد البعد الاجتماعي للشخصيات من خلال علاقة الشخصية الواحدة بباقي الشخصيات في الرواية، فالإنسان بطبعه كائن اجتماعي لا يمكنه الانعزال عن الناس مهما كانت الظروف.
- كما يتحدد البعد النفسي الذي نعني به الجانب الداخلي للشخصية وما تتأثر به من مشاعر الفرح والحزن وهذا ما يجعل المتلقي يتجاوب مع الرواية.
- يعتبر السفر عبر الزمن أحد أهم آليات الرواية التاريخية.

- تعتبر آلة الزمن أحد أهم الأشياء التي يمكن الاعتماد عليها في الانتقال من زمن إلى آخر بفضل مكوناتها الخيالية التي لم تتحقق بعد في الواقع.
- صور لنا الروائي رحلة خيالية يشوبها الكثير من الخوف والقلق في تصويره تلك الأجرام السماوية.
- يعتبر الخيال العلمي أحد أهم الخصائص لإعادة كتابة التاريخ حيث يلجأ إليه الروائي هروباً من الحاضر البائس، أو لشحن الهمم إذا ما أصاب الأمة تخاذل أو حرب، فيجعل منه القوة الدافعة للأهوال.

قائمة

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم: رواية حفص عن نافع

المصادر :

1- خالد اليعبودي، عودة إلى غرناطة عبر ساجيتوروس، دار ما بعد الحداثة، ط1، 2010م.

المعاجم:

2- ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي)، لسان العرب، دار صادر، بيروت لبنان، ط1، 1997، مجلد1.

3- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت لبنان، ط4، 2005، مجلد10.

4- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ط4، مجلد5.

5- شعبان عبد العاطي عطية وآخرون، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط4، 2004.

المراجع العربية والمترجمة:

6- أحمد رأفت عبد الجواد، مبادئ علم الاجتماع، مكتبة نهضة الشرق، جامعة القاهرة، (د.ط.)، (د.ت.).

7- تيري ايجلتون، مقدمة في نظرية الأدب، تر: أحمد حسان، (د ط)، 1988م.

8- جان غاتينيوي، أدب الخيال العلمي، تر: ميشيل خوري، دار طلاس، دمشق، ط1، 1990.

9- جبرييل شاردان، هل يمكننا السفر عبر الزمن؟ تر: عز الدين الخطابي، مرا: فريد الزاهي، هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة، ط1، 2012م.

10- جمال يحيوي، سقوط غرناطة ومأساة الأندلسيين (1492-1610م)، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ط.)، 2004م.

11- حمدان حاجي، حياة وأثار ابن زمرك، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، (د.ط.)، (د.ت.).

- 12- حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1991 م.
- 13- روبرت سكولز وآخرون، آفاق أدب الخيال العلمي، تر: حسين حسين شكري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ط)، 1996م.
- 14- شعيب حليفي، تق: عبد الفتاح الحجمري الرواية والخيال العلمي، منشورات مخبر السرديات، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2013م.
- 15- شكري عزيز الماضي، في نظرية الأدب، دار المنتخب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1993م.
- 16- صلاح الدين معاطي، الخيال العلمي بين العلم والخرافة، الوراق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2014م.
- 17- عبد العزيز سالم، التاريخ والمؤرخون العرب، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، (د.ط)، 2008م.
- 18- عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط2، 1976م.
- 19- عز الدين إسماعيل، الأدب وفنونه، دار الفكر العربي، (د.ط)، (دت).
- 20- عصام عساقلة، بناء الشخصيات في روايات الخيال العلمي في الأدب العربي، أزمنة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2011م.
- 21- فيصل الأحمر، دراسات في الأدب الجزائري المعاصر، اتحاد الكتاب الجزائريين، ط1، 2009م.
- 22- كوثر عياد، أدب الخيال العلمي في المغرب العربي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس (د.ط)، 2009م.
- 23- محمد بن تاويت الطنجي، رحلة ابن خلدون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (ط2)، 2005م.

- 24- محمد عزام، الخيال العلمي في الأدب، دار طلاس، سوريا، (ط1)، 1994م.
- 25- محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط7، 2007م.
- 26- محمد كمال شبانة، الأندلس دراسة تاريخية حضارية، دار العالم العربي، ط1، 2008م.
- 27- محمد مسباعي، التحليل النفسي للرواية، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ط)، 2009م.
- 28- محمود قاسم، أدب الخيال العلمي أدب القرن العشرين، دار العربية للكتاب، (دط)، 1993م.
- 29- مها مظلوم خضر، بناء رواية الخيال العلمي في الأدب المصري المعاصر، مطبعة الأوفست الحديثة، ط1، 2001م.
- الرسائل الجامعية:
- 30- جميلة بورحلة، أدب الخيال العلمي بين العلمية والأدبية دراسة وصفية تحليلية في جمالية التداخل بين البعدين العلمي والأدبي، مذكرة ماجستير، إشراف : عبد المالك بومنجل، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة فرحات عباس، سطيف، الجزائر، 2009-2010م.
- 31- جهيدة بوطبة، الرؤيا النقدية في كتاب الخيال الشعري عند العرب لأبي القاسم الشابي، مذكرة ماستر، إشراف: عمار حلاسة ، كلية الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2014-2015 م.
- 32- سعاد عريوة، مكونات السرد وخصائصها في رواية الخيال العلمي العربية المعاصرة، رواية اعشقتني لسناء الشعلان أنموذجا، أطروحة دكتوراه، إشراف: عمار بن لقريشي، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2017-2018م.

33- محمد الصديق معوش، مصطلح الخيال في الرومنتيكية العربية، أطروحة دكتوراه، إشراف: مشري بن خليفة، كلية الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2017-2016م.

34- ليلي يونسى، تجليات التاريخ في رواية حابة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر لعز الدين جلاوجي، مذكرة ماستر، إشراف: روفيا بو غنوط، كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية، جامعة العربي بن مهدي، أم البواقي، 2012م.
المجلات:

35- محمد الباقر حاج يعقوب، التصور الإسلامي للعلم وأثره في إدارة المعرفة مجلة الإسلام في آسيا، عدد : 4 ، ديسمبر 2011م.

36- محمد أحمد مصطفى، أدب الخيال العلمي العربي: الراهن والمستقبل، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، عدد 71، 2007م.

37- محمد عبد الخربوطي، محمد عزام وكتابه أدب الخيال العلمي، مجلة الخيال العلمي، وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، سوريا، عدد47، 2013م.

مواقع الأنترنت :

38- جميلة محمد المحمد، ماذا تعرف عن أدب الخيال العلمي؟ مجلة الجوار، الجمعة.

3 يونيو، 13:00 سا www.alhlw.armazim.blogs.pot.com

39- عمر السنوي الخالدي، ما الأدب؟.

2017 ، 1438 هـ ، 19 / 8 / 2020-12:10 [https:// www. Alukah.net/literature-lan](https://www.Alukah.net/literature-lan)

40- غادة لحلايقة، السفر عبر الزمن حقيقة أم خيال. 4-4-2020م، 11:50 سا

<https://Mawdoo3.com>

الملاحق

نبذة عن حياة الكاتب خالد اليعبودي



ولد خالد اليعبودي في 03 فيفري 1967 بمدينة فاس بالمغرب، يعمل حالياً أستاذ بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، حاصل على شهادة دكتوراه دولة تخصص لسانيات عربية بميزة حسن جدًا سنة 2004.

أهم مؤلفاته:

- كتاب المصطلحية وواقع العمل المصطلحي بالعالم العربي.
- كتاب آليات توليد المصطلح وبناء المعاجم اللسانية.
- رواية رفقة شيخ الحضرمية بالحضرة الفاسية.
- رواية عودة إلى غرناطة عبر ساجيتوروس.
- رواية غرناطة في نفق الزمن.
- كتاب التداخل المصطلحي بالخطاب، مذيّل بقاموس المشترك في اللغة الصوفية.
- المعجم العربي التاريخي رؤى وتطلّعات.
- مجلة مصطلحيات من العدد الأول إلى العدد السادس الخاص بالمصطلح الصوفي.

ملخص الرواية

تحكي رواية عودة إلى غرناطة عبر ساجيتوروس لخالد اليعبودي قصة رجل اسمه سلمان القرطبي من مدينة فاس ضاقت به الدنيا بما رحبت، واشتدّ به الألم من هذا العصر الذي اثقل كاهله بالمشاكل والهموم لدرجة أنّه لم يعد يستطيع النوم.

وذات يوم وهو في غرفة أبيه يستطلع ما بها فإذا به يجد صندوقاً يحتوي على كتب قيّمة من تأليف جده الأكبر ابن سالم بعضها يتضمن قوانين اللسانيات والبعض الآخر يرصد طرق صياغة المصطلح وإكسابه حلتّ عربية أصيلة، ووجد تحت هذه الكتب مخطوطاً به نتف من ذكريات قضاها الجد برحاب الجامعة الفاسية، أهم ما فيها حكايته عمّا درّسهم إيّاه أستاذه عن شيخ المؤرخين ابن خلدون وما قدّمه للبشرية من علم ينتفع به، ما يسمى اليوم (بعلم الاجتماع) وعمّا تعرّض له هذا العالم من بعض المشكّكين، الذين جعله وصولياً ومنافقاً من الطراز الرفيع، هذه الملابس كلها جعلت من سلمان يذهب لزمّن ابن خلدون ويستفسر منه عمّا يشغل باله ليخلص سيرته من الشوائب، وقد صادف ذلك حصول سرير ابن عم سلمان على منحة من هيئة الأمم الأوربية لاكتشافه مستجدات في غاية الأهمية عن ساجيتوروس، وقد كانت هذه المنحة دافع سرير كي يعجّل بتصميم العبّارة التي كان يشتغل عليها منذ سنتين، تمّ بعون الله الإنتهاء من صنع عبّارة الفضاء واقترب يوم رحيل سلمان فاستغل الفرصة في توديع أهله ورفاقه وخطيبته نجلاء التي كانت حزينّة كل الحزن على فراقه، وجاء اليوم الموعود فتفحص سلمان العبّارة الفضائية من كل الجوانب ليطمئن على سلامتها، ثمّ بدأ العدّ التنازلي للإنتلاق، فانطلقت العبّارة تشقّ عنان السماء، بعدها زالت مخاوف سلمان فبعد تخطّيه للغلاف الجوّي وابتعاده عن الأرض بدأ ينظر إلى الكون وما تجلّى فيه قدرة الخالق، فقد كان يشاهد النيازك والمذنبات تمرّ أمامه وكان خوفه شديداً من ارتطامها بالعبّارة وتعطيل رحلته لكن العبّارة كانت مزوّدة بتقنية تجنبها الارتطام فزالت مخاوفه وواصل رحلته مروراً بالقمر الذي أدهشه نظامه الرّباني المحكم ولاحظ أنّه لا أثر للحياة على هذا الكوكب اللهمّ بعض

القواعد مغطاة ومكيفة من الداخل أقامها الإنسان منذ ثلاث مائة سنة، وتواصل العبارة سيرها السريع لتحلّق فوق المريخ (آلهة الحرب) الذي يحرسه كوكبان هما القريب (فوبوس) والآخر (ديموس) كلاهما يدل على الخوف والرعب كلاهما طودان شامخان يحرسان هذا الإله المتجبر في اعتقاد المؤمنين بالأساطير، وتواصل العبارة سيرها لتصل نحو المشتري، هذا الكوكب العملاق الذي من فرط ضخامته فهو يحتاج اثني عشر حولا للدوران حول الشمس وهو أكبر كواكب المجموعة الشمسية مجتمعة، لكنه مقارنة بالشمس يظل صغيرا للغاية، ويواصل سلمان انبهاره بهذه الكواكب وبصنع الخالق الذي أحسن صنع خلقه وحفظ هذه الكواكب من الالتقاء والارتطام، وتسير العبارة مواصلة طريقها نحو زحل هذا الكوكب الخلاب الذي يتعدى حجمه حجم الأرض بعشر مرات، لكنه لا يتوفر على شروط الحياة وإلا كان خفف عن الأرض أعباء كثيرة لانتقال البشر للعيش فيه، وبعد أن غفا سلمان غفوة خفيفة أفاق على صوت حاسوب العبارة يخبره بالإقتراب من الكوكب المعتم، هذا الكوكب النائي الذي يحتل المرتبة الثالثة في الحجم بعد زحل وإن كان يظهر صغير الحجم للرأي نتيجة بعده عن الشمس، وتستمر الرحلة لتصل العبارة إلى كوكب نبتون إله البحار وهو أشد برودة من أورانوس لبعده الكبير من الشمس، ويواصل سلمان رحلته متدبرا في هذا الكون الفسيح المليء بالإعجاز وصولا إلى كوكب بلوتو هذا الكوكب المليء بالميثان والنيتروجين، وهذا يعني استحالت الحياة فيه، وتستمر هذه الرحلة المشوبة بالمخاطر من كل حذب وصوب، فكثيرا ما تعرضت العبارة لمخاطر الاصطدام ببعض النيازك لولا حفظ الله لها ولسلمان، ورغم ذلك يواصل سلمان تحدّيه إلى غاية وصوله ساجيتوروس المعتمّ المليء بالتيارات القوية والشديدة الهيجان انتاب سلمان الكثير من القلق والذعر الشديد وهو على فوهة الثقب الأسود، لكنه تمالك نفسه وأدرك أهمية رحلته وقرر المغامرة، تعرض سلمان وعبّارته لمخاطر كثيرة ظن أنه لن يعود للحياة ونطق بالشهادة عدتّ مرات، وندم مرات عديدة على خوضه غمار هذه الرحلة الخطيرة، واستمر في المعانات لوقت طويل بعد أن فقد الأمل في

الخروج من هذه الدوامة وبعد مدّ وجزر تمكن سلمان من تجاوز الثقب الأسود وقبل الاتجاه إلى الثقب الأبيض كتب رسالة إلى جده ابن سالم يبشره بأنه سيحقق مراده ويخبره بما وصلت إليه الاكتشافات في عصرنا ويقارنها بالاكتشافات في عصره، بعدها مباشرة توجه إلى الثقب الأبيض واندفعت العبارة تلتمس الطريق إلى عروس الأندلس، وهاهو سلمان بعد كل المخاطر التي تعرض لها يصل سالما غانما، أول ما بدأ به هو إخفاء العبارة عن الأنظار حتى يتسنى له العودة إلى وطنه حال إكمال مهمته، وبعدها ذهب للتجول في أسواق غرناطة بحثا عن شيخ المؤرخين، فرأى ملابس الغرناطيين جميلة على بساطتها، ولفت نظره طائفة من المصورين بين قاعد وواقف منهمكين في تزيين منسوجات وأوراق بعضهم يصور لوحات مقتبسة من القصص الديني كحادثة الإسراء والمعراج، وبعضهم الآخر أكثر هرطقة يتفنن في محاكاة ملامح جارية قابعة أمامه، وواصل سيره إلى أن وصل إلى أحد الكتائبين والورّاقين يسمى حمدون المغاري الذي رافقه إلى شيخ المؤرخين، وفي طريقهما كان يتجادبان الحديث في مواضيع مختلفة إلى أن وصلا إلى الجامع الكبير حيث لقيا شيخ المشايخ هناك يتصفح بعض الكتب فاستقبلهما ورحّب بهما وتحدّثا معه في مواضيع شتى، وفي الغد عاودا الالتقاء به في دكان الكتبي فواصلوا حديثهم وكان أهمه عن لسان الدين بن الخطيب وكيفية اعتقاله في سجون فاس، وقد خطر لسلمان فكرة أن يدخل قصور الحمراء منجّما، فهذا هو المنفذ الوحيد لدخوله المجالس السلطانية وتحقيق حلمه، وقد وافقه الشيخ الرأي أملا أن يستطيع تحقيق النصر للوزير لسان الدين ابن الخطيب.

ولما دخل سلمان القصر انبهر بزخرفته وتنسيقه الجميل واتساعه وبقي مع شيخ المشايخ حتى حضر السلطان وجاء دوره في الحديث فأبهر الحاكم بما يملكه من معلومات على الفلك والتنجيم وقراءة الطالع، وبعد انتهاء المجلس أمره الحاكم بقراءة طوالع الحريم فبدأ بأحب جارية إلى قلب الغني بالله وهي سيرينا الرومية من بين ألف جارية بمجموع قصور الحمراء، بدأ بها علّه يقنعها بالكلام مع الحاكم واستعطافه ليفكّ

سجن لسان الدين، وقد وعدته بالمساعدة إذا انتفعت بالدواء الذي وصفه لها، وكانت الزيارة الثانية لسلمان هي زيارة قصر قمارش وقد خضر الجدل العنيف بين الشيخ وحاشية الحاكم ودفاع الشيخ المستميت عن بني مرين، وعن خليله لسان الدين حيث بذل مجهودا كبيرا في إقناع الغني بالله ببراءة خليله، وأن مؤامرة قد أحيكت ضده لا محالة، وقد بعث لسان الدين برسالة إلى الغني بالله يصف له السجن الذي يسكنه والآلام التي حلت به من احتقار المساجين والسجّانين له والحقد عليه، لكن ذلك لم يحرّك ساكنا في الحاكم سوى أنه قال سننظر في شأنه عما قريب، وغير بعيد من القصر يجتمع عدد من الثوار لتسوية صفوفهم في ربض البيازين للثورة ضد الغني بالله لأنه أثقل كاهل الرعية بالمكوس والمغارم، وإغراق الإمارة في دروب اللهو والعبث، وحاشية السلطان في سبات عميق، وقد شارك سلمان أيضا في مجلس الحرب والسياسة ولاحظ غضب الغني بالله إثر تهديد قاسي اللّهجة من حاكم قشتالة لتأخره على دفع الإتاوة السنوية، وبعد أخذ وعطاء قرّر الغني مكاتبته لتذكيره بمعاودة الصلح بين المملكتين ودعوته لتنفيذ بنودها كاملة، كما قرر تقوية الأسطول وضمّ سبته إلى الإمارة النصرية، كما تطلّع إلى ضمّ الجزر الخالدات، وقد بدأ الغني بالله التحضير والاستعداد بداية بتقوية الأسطول ثمّ عرض الجيوش للتأكد من الحاضر والغائب، وسلامة العتاد الحربي وصلاحيته لأي حرب محتملة، وإقامة فرجة للناس والحاشية للاستمتاع بهذه الاستعراضات، وقد أقام الغني بالله حفلا على شرف شيخ المشايخ وسلمان لمقربة رحيلهما عن الدولة الغرناطية، وقد كان سلمان كعادته مولعا باكتشاف الجمال والاستمتاع به، فقد دخل جنة العريف منبها بما فيها من نافورات، وأشجار، وحيوانات، وورود من كل الأصناف، بعدها أقيمت مأدبة فاخرة اضطر الشيخ للانسحاب قبل أن يلاحظه الغني بالله، وتقدّم الجميع للموائد وقدمت الأطباق الفاخرة والمآكل الشهية وبعد الانتهاء لاحظ الغني بالله غياب الشيخ فأمر بعودته وقامت بينه وبين شاعر البلاط واستمر الحاضرون في مناظراتهم، وذكر ابن عربي الذي أجمع الجميع أنّه كان شيخ الصوفية بدون منازع، وعاد الشيخ من جديد محاولا بكل ما

أوتي من قوة إقناع السلطان ببراءة خليله لسان الدين، لكن دون جدوى، حينها قرّر الرحيل، والتقى بسلمان وودّعه كان الحزن يعصره لكن ما باليد حيلة فحاشية السلطان زادت الطين بلة ولم يتغير موقف الغني بالله، أحسّ سلمان بجزع شديد بعد رحيل الشيخ، وقد نهض في الصباح الباكر وقرر تدوين كل ما حصل له في هذه المدينة العتيقة التي لم يعد لها طعم بعد رحيل الشيخ عنها، حينها قرر العودة إلى الحاضر بعد أن ودّع حمدون وسار إلى العريش لتفقد العبارة يتملكه حزن وضيق شديد على فراق الشيخ وحمدون والرفاق الطيبين من أهالي غرناطة الذين فاقوا سائر أهالي الأمصار في اللباقة والكياسة، ركب سلمان العبارة وعاد إلى الزمن الحاضر، وكلّه أمل في أن تتفتح سحابة الحزن عن غرناطة والانتفاء من تلك الحاشية والبطانة الخبيثة، وفي صباح الغد اتصل سلمان بابن عمه سرير ليشكره على اختياره هذه الرحلة التي أخذته إلى بلد الأجداد الغابر، وأنه سيظل وفيًا للعهد طيلة حياته.

فهرس المحتويات

شكر و عرفان

مقدمة أ-د

الفصل الأول

أدب الخيال العلمي: المفهوم النشأة والتطور

أولاً: مكونات مصطلح أدب الخيال العلمي (المفاهيم و العلاقات) 06

1- تعريف الأدب 06

أ- لغة 06

ب- اصطلاحاً 08

2- تعريف الخيال 09

أ- لغة 09

ب- اصطلاحاً 11

3- تعريف العلم 12

أ- لغة 12

ب- اصطلاحاً 13

ثانياً: العلاقة بين المفاهيم (الأدب، الخيال، العلم) 13

ثالثاً: تعريف أدب الخيال العلمي 16

1- عند الغرب 16

2- عند العرب 18

رابعاً: تعريف التخيل 20

1- لغة 20

2- اصطلاحاً 21

- 22..... خامسا: تعريف رواية الخيال العلمي
- 23..... سادسا: نشأة وتطور أدب الخيال العلمي
- 23..... 1- عند الغرب
- 30..... 2- عند العرب

الفصل الثاني

الخيال والتخييل في رواية (عودة إلى غرناطة عبر ساجيتوروس)

- 41..... أولا- خيالية الحدث واختراق الزمن
- 43..... ثانيا- غرناطة الخيال والتاريخ
- 43..... 1- مفهوم التاريخ
- 45..... 2- مفهوم الرواية التاريخية
- 45..... 3- مملكة غرناطة
- 46..... أ- مؤسس غرناطة
- 46..... ب- مظاهر الحضارة في مملكة غرناطة
- 47..... ج- بداية نهاية غرناطة
- 49..... ثالثا: الأحداث التاريخية من خلال الرواية
- 49..... 1- قدوم ابن خلدون إلى الأندلس (لتخليص خليله لسان الدين ابن الخطيب)
- 51..... 2- فشل مساعي ابن خلدون في تخليص ابن الخطيب
- 53..... 3- نشوب الخلافات في عهد الغني بالله ومن بعده
- 55..... رابعا: دراسة أبعاد الأعلام والشخصيات التاريخية
- 56..... 1- البعد الفيزيولوجي
- 66..... 2- البعد الاجتماعي
- 69..... 4- البعد النفسي

75.....	خامسا: السفر عبر الزمن كآلية من آليات الرواية التاريخية
75.....	1- السفر عبر الزمن
77.....	2- فكرة السفر عبر الزمن في الرواية
81.....	3- وسيلة الانتقال (وصف مكونات آلة الزمن)
84.....	4- ظروف الانتقال (وصف الرحلة العلمية)
89.....	سادسا: الخيال العلمي كآلية لإعادة كتابة التاريخ
97.....	الخاتمة
100.....	قائمة المصادر والمراجع
105.....	الملاحق

فهرس المحتويات

الملخص

ملخص:

يعالج هذا البحث الترابط الفني بين العمل الروائي والمادة التاريخية في رواية عودة إلى غرناطة عبر ساجيتوروس للروائي المغربي خالد اليعبودي الذي اعتمد على المرجعية التاريخية كأداة لتحقيق ما يصبو إليه، فقد لاحظنا آثار الواقعية التاريخية في روايته من خلال مجموعة من العناصر السردية، كما أبرزت مظهرات السرد التخيلي الذي أعطى للرواية ميزة فنية زادت من قيمتها الجمالية.

الكلمات المفتاحية: الخيال؛ الرواية؛ أدب الخيال؛ غرناطة،

Abstract :

This research deals with the technical interconnection between the work of fiction and the historical material in the novel of Return to Granada through Sagittorus by the Moroccan novelist Khaled Al-Ya'boudi, who relied on historical reference as a tool to achieve his aspirations.so,we have observed the effects of historical realism in his novel through a set of narrative elements. The fictional which gave the novel an artistic feature that increased its aesthetic value

Keywords: imagination; the novel; Fiction literature; Granada,